

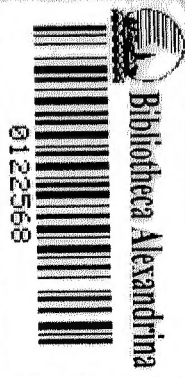
هل اقتربت الساعة؟



د. مصطفى البدوي

الناشر

للطباعة والنشر والتوزيع



هل اقتربت الساعة ؟

د. مصطفى حسن البدوي

الناشر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان



حُقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة :

الحمد لله الذى أحسن كل شيء خلقه وأنزل كل شيء بقدر، والصلاة والسلام على نبي آخر الزمان وآله وصحبه وكل من استوى عنده من الدنيا الذهب والمدر.

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ (١).

وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
« بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى. (٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :
« بعثت أنا والساعة كهذه من هذه، إن كادت لتسبقني » (٣).

(١) سورة القمر، آية : ١ .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أحمد والطبراني عن أبي جحيفة رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

كما قال صلى الله عليه وآله وسلم :
« بُعِثَتْ فِي نَفْسِ السَّاعَةِ فَسَبَقَتْهَا كَمَا سَبَقَتْ هَذِهِ
هَذِهِ »^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :
« بُعِثَتْ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ وَالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ تَعَالَى
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رَمْحِي، وَجَعَلَ
الذِّلَّ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ
مِنْهُمْ »^(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :
« مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَفَرَسِي رَهَانٍ. مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ
كَمَثَلِ رَجُلٍ بَعَثَهُ قَوْمٌ طَلِيعَةً فَلَمَّا خَشِيَ أَنْ يُسَبِّقَ أَلَا حَ بِشَوِيهِ :
أَتَيْتُمْ أَتَيْتُمْ ! أُنَا ذَاكَ ! أُنَا ذَاكَ ! »^(٣).

وذكر ابن كثير في تفسيره عن أنس رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت

(١) أخرجه الترمذي عن المستورد بن شداد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البيهقي عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

الشمس أن تغرب فلم يبق منها إلا سف^(١) يسير فقال :

« والذي نفس محمد بيده ، ما بقي من دنياكم فيما مضى
منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه ». وما يرى من
الشمس إلا اليسير.^(٢)

وقال الشيخ الألوسي في تفسيره للعصر المقصود في سورة
العصر : « وقيل هو زمان حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وما
بعده إلى يوم القيامة ، ومقداره فيما مضى من الزمان مقدار وقت
العصر من النهار. ويؤذن بذلك ما رواه البخاري عن سالم بن
عبدالله عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول :
« إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة
العصر إلى غروب الشمس ... ».^(٣)

والحديث بتمامه كالآتي :

« إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة

(١) سف : أي لم يبق على إختفاء الشمس بعد ميلها إلا قليل .

(٢) أخرجه البزار عن أنس رضي الله عنه .

(٣) « روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني » للعلامة
الألوسي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ ، الجزء ٢٨ ، ص ٢٩٢ .

هل اقتربت الساعة

العصر إلى غروب الشمس .

أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا حتى انتصف النهار ثم
عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا .

ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم
عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا .

ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين
قيراطين، فقال أهل الكتاب : أي ربنا ! أعطيت هؤلاء قيراطين
قيراطين وأعطينا قيراطا قيراطا ونحن أكثر عملا ؟

قال الله عز وجل : هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟

قالوا : لا !

قال : فهو فضلي أوتيته من أشاء .^(١)

ولما كانت دورة الزمن المكونة من الليل والنهار تبدأ بمغرب
الشمس وتنتهي بمغربها في اليوم التالي فإن عمر الأمة المحمدية
هو آخر ساعات النهار، أي من بعد العصر إلى المغرب وهو قيام
الساعة. ولذلك يخبرنا الحديث المذكور آنفا أن وقت اليهود كان

(١) أخرجه البخاري عن عمر رضي الله عنه.

قبل انتصاف النهار، ووقت النصارى من الزوال إلى العصر، ويكون وقت الأمم السابقة لليهود ما قبل ذلك .

يدل كل ذلك على أنه في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان قد انقضى من عمر الدنيا أكثره ولم يبق منه إلا القليل حتى قيام الساعة. ولقد مرّ على هذه الأمة منذ أن نفوه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الأحاديث أكثر من ألف وأربعمائة سنة، فأين نحن الآن من قيام الساعة؟ هل تقوم الساعة بعد آلاف من السنين؟ أم بعد المئات؟ أم العشرات؟ وما أهمية معرفة ذلك؟

واقع الأمر أن معرفة ذلك أمر حيوي للغاية لكل مسلم، إن لم يكن لكل إنسان على وجه الأرض، فإننا نعيش زمانا تزايدت فيه الفتن، وكثرت فيه الكوارث الطبيعية، وتعددت فيه المذاهب الفكرية والأيدولوجية، وتغيرت فيه المجتمعات الإنسانية تغيرا جذريا وشاملا عما كانت عليه حتى عهد قريب، وفرضت الحضارة الغربية سيادتها على أرجاء المعمورة. والحضارة الغربية حضارة مادية ملحدة، قوتها العسكرية يظن الناظر إليها أنها لا تقهر، وقوتها

هل اقتربت الساعة

الاقتصادية لا تغلب، وتفوقها الصناعي والتكنولوجي لا يجارى، ولا يرقى اليه تطلع دول العالم الثالث . هذه الحضارة لها طريق مادي يخطف الأبصار ويستحوذ على النفوس، ولها قدرة فائقة على نشر أفكارها ومبادئها وأساليبها وأغراضها عبر وسائل الإعلام التي ابتدعتها وسخرتها لخدمتها تسخيراً كاملاً متقناً.

في ظل هذه الظروف أصبح من الواجب على المسلمين الرجوع إلى العلوم التي جاء بها الوحي الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، علم النبوة الذي أظهره الخالق سبحانه وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فإن هذا هو الذي ينقذهم من الانسياق الأعمى وراء الأفكار الغربية المبتوثة في وسائل الإعلام بدعوى أنها الحق الذي لا مرأى فيه، وهو الذي يمكنهم من تفهم ما يروونه حولهم من أحداث وظواهر، حتى يعلموا كيف يكون التفريق فيها بين الحق والباطل، والحلال فيها من الحرام، ويعلموا إلى أي مرحلة من مراحل البشرية وصلوا، وما هي أخطار هذه المرحلة عليهم؟ وكيفية الاحتراز والنجاة من هذه الأخطار.

وكيف لا يكون ذلك واجبا على كل مسلم وقد قيل عن فتن
آخر الزمان انها تهوي بالرجل إلى الكفر ؟

فقد روى ابن ماجه والطبراني عن سيدنا أبي أمامة الباهلي ،
رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :
« ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ، إلا
من أحياء الله بالعلم » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« مثلي كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حولها
جعل الفراش وهذه الدواب اللاتي يقعن في الناريقن فيها،
وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فذلك مثلي ومثلكم،
أنا أخذ بحُجُزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار !
فتغلبوني فتقتحمون فيها » .^(١)

وروى ابن عساكر عن سيدنا معاذ بن جبل ، رضي الله عنه ،
أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

« إذا ظهرت البدع ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فمن كان عنده علم فليشره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد » .

وإن علم اشراط الساعة وصفات آخر الزمان لمن العلوم التي لا ينبغي لمسلم إهمالها، فإن هذا العلم هو المنقذ من أخطار الفتن المتلاحقة التي يكون فيها الحليم - أي ذو العقل والفهم - حيران، كما ورد في الخبر.

وإننا لفي زمان انقلبت فيه الموازين رأساً على عقب، وصورت فيه وسائل الإعلام الخاضعة للغرب الأمور على عكس ما هي عليه، وشت في الأمة الإسلامية الكثير من الأفكار التي أصبحت لدى الناس قضايا مسلم بها بينما أنها لو عرضت على الكتاب والسنة لوجدت أنها على العكس منها تماماً.

ولنعط على ذلك مثالا واحداً : كثيراً ما نسمع قول المنبهرين بالحضارة الغربية أن في الغرب إسلام بلا مسلمين وفي ديار المسلمين مسلمون بلا إسلام، يريدون بذلك أن التفوق التكنولوجي وما جاء معه من نظافة ونظام وتيسير في الأمور

الديوية في الدول الغربية كان يجب أن يكون القائمون به المسلمين، بينما الفوضى والصعوبات الديوية التي نعاني منها كان الأخرى أن يعاني منها الكفار لكفرهم. ونسي هؤلاء أن سنة الله في خلقه أنه كلما فسد المؤمنون ضيق عليهم، بينما يوسع للكافر في دنياه استدراجا له ومكرا به حتى يزداد غيا وخسرانا. كما نسي هؤلاء أن الواجهة البراقة للحضارة الغربية تخفي ما بهم من الأمراض والأسقام التي لم تكن فيمن قبلهم، والفوضى الاجتماعية، وتلوث البيئة، والإنحلال الخلقي، ثم أهم من هذا وذلك، نسي هؤلاء أن الكافر مهما تمتع في الدنيا فمصيره إلى النار.

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته بالاستعاذة من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وخصوصا الفتنة الكبرى التي هي فتنة الدجال، فإن من خطورتها على الناس ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وصية الأمة بالاستعاذة منها بالآتيان بهذا الدعاء في الصلوات في التشهد الأخير ويوميا بعد كل صلاة مكتوبة :

هل اقتربت الساعة

« اللهم اني أعوذ بك من فتنة الحيا، وفتنة الممات، وعذاب القبر، وفتنة المسيح الدجال ».

وقد غرس صلى الله عليه وآله وسلم هذه الإستعاذة في الأمة في وقته وهو يعلم تماما صلى الله عليه وآله وسلم أن الدجال لن يأتي قبل مرور مئات السنين، ولكن لكي يجد الدجال حين يأتي أن المسلمين لازالوا متحصنين بهذه الدعوات النبوية من إغوائه وإضلاله. وكذلك الأحاديث الخاصة بأشراط الساعة فإنما قيلت لنا وتركت لكي نستقى منها علما ونهتدى بها عند ورود مضلات الفتن.

وليس الغرض من هذا الكتاب إيراد وشرح جميع الأحاديث الواردة في علامات الساعة شرحا مفصلا ومدعما بالأمثلة الكثيرة من الأحداث والوقائع التاريخية، سواء القديمة أو المعاصرة، وإنما هو عرض الأحاديث على القارئ المعاصر بصورة فيها شيء من التنظيم، مع إشارات موجزة إلى كيفية الاستدلال بها على ما يحدث حولنا من أحداث، ثم تركه ليعمل فكره فيها ويستكشف منها القوانين الإلهية التي وضعها فاطر السموات والأرض للخلقة،

حتى يصل إلى فهم ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا
تبديل لخلق الله ﴾^(١) ويطبق ما يفهم على ما يرى، فتظهر له
الأمر على حقيقتها، ويتبين له مدى التعمية والتضليل التي تروح
تحت أعبائهما الأمة، ثم يرسم لنفسه طريق النجاة والخلص.
وإن كثيراً من الناس ليس لهم علم بهذه الأحاديث أصلاً،
وكثيراً منهم لهم علم ببعضها ولكنهم لم يتفكروا فيها وفيما تدل
عليه، فكان هذا هو الدافع الأول لجمعها على هذه الصورة،
وتبويبها بما يلائم العقلية المعاصرة؛ فمن نظر فيها وأنصف ولم
يحاول تطويعها قهراً لما يؤمن به من نظريات ولما عنده من أفكار
مسبقة فلا بد وأن يستخرج منها المفاهيم التي تستثير بها بصيرته.
والله ولي التوفيق .



(١) سورة الروم ، آية : ٣٠ .

(١) إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بما تصر به الأمة من أحداث إلى يوم القيامة

أطلع المولى عز وجل حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على ما كان وما سيكون ، وأراه كل شئ رؤية عيان ، فأخبر أمته بما يحتاجون إلى معرفته من هذه الأمور ، لكي يكونوا على بصيرة من أمرهم ، ويعرفوا ماذا يفعلون عند نزول الفتن والبلايا ، وحتى يورثوا هذه العلوم إلى من بعدهم ، طبقة بعد طبقة ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال أبو زيد الأنصاري رضي الله عنه : « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الصبح ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ، ثم نزل فصلى الظهر ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى العصر ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس ، فحدثنا بما كان وبما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا » (١).

(١) أخرجه أحمد ومسلم .

هل اقتربت الساعة

وقال المغيرة بن شعبه رضي الله عنه : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فأخبرنا بما يكون في أمته إلى يوم القيامة ، وعاه من وعاه ونسيه من نسيه » (١) .

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : « والله ما أدري أنسي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم تناسوا ؟ والله ما ترك رسول الله من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا ، يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً ، إلا قد سماه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه واسم أبيه واسم قبيلته » (٢) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق ، حتى أدخل أهل الجنة منازلهم ، وأهل النار منازلهم . حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه » (٣) .

(١) أخرجه أحمد .

(٢) أخرجه أبو داود .

(٣) أخرجه البخاري .

وقال حذيفة رضي الله عنه : « لقد خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما ترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره ، علمه من علمه ، وجهله من جهله . إن كنت لأرى الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه » (١) .

ولا غرو في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه عن كل شيء من بدء الخلق إلى يوم القيامة ، فقد علمه الله علم الأولين والآخرين .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« أتاني ربي في أحسن صورة فقال : يا محمد ! قلت : لبيك ربي وسعديك ! قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : ربي لا أدري . فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما بين المشرق والمغرب ... » (٢) .

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود .

(٢) أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

هل اقتربت الساعة

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أيضاً :

... فعلمت ما في السموات وما في الأرض ... (١).

وفي رواية أخرى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه :

« ... فتجلى لي كل شيء فعرفت ... » (٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن

أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ... » (٣).

ولذلك لما وصف الفتن ، صلى الله عليه وآله وسلم ،

وصفها وصف المشاهد لها ، الناظر إليها .

قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما : أشرف النبي صلى الله

عليه وآله وسلم على أطم من أطام المدينة فقال :

« هل ترون ما أرى ؟ » .

(١) أخرجه الترمذي .

(٢) أخرجه الترمذي .

(٣) أخرجه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه .

قالوا : « لا » .

قال : « فلإني أرى مواقع الفتن خلال يوتكم كمواقع القطر » ^(١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون . أظت السماء وحق لها أن تظ ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله تعالى ساجداً . والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، وما تلذثتم بالنساء على الفرش ، وخرجتم إلى الصُّعدات تجأرون إلى الله » ^(٢) .

وقد أخبر النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أمته بما يحدث بعد وفاته من ردة ودجاجلة ، ووفاة السيدة فاطمة الزهراء بعده بستة أشهر ، ومقتل سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عثمان بن

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والحاكم .

(٢) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

عفان رضي الله عنهما ، ثم الفتن التي تحصل في عهد سيدنا علي بن ابي طالب ، رضي الله عنه ، تفصيلا ، ثم تنازل سيدنا الإمام الحسن عن الخلافة لحقن دماء المسلمين ، ثم مقتل سيدنا الإمام الحسين ، رضي الله عنه ، بكربلاء ، واستيلاء بني أمية على الحكم وعلى المنبر النبوي بالمدينة المنورة ، إلى آخر ما أخبر به مما جاء كما أخبر صلى الله عليه وآله وسلم .



(٢) تدهور الزمان

إن خير وقت لكل أمة ، حيث يكون الخير في ذروته والشر في أضعفه ، وقت وجود نبي كل أمة بين ظهرائهم ، ثم لا يزال الأمر في تدن مستمر حتى يذهب الصالحون ويذهب معهم العلم ، ويندرس الدين فلا يبقى له أثر يذكر .

وقد حدث هذا في الأمم السابقة ، وآخرهم النصاري الذين اندرس دينهم حتى انطمس بالكلية ، وقامت على أنقاضه الحضارة الحديثة القائمة على المادية وعبادة الشهوات والأهواء ، حتى أنه لم يعد فيهم ، - وإن ادّعوا عكس ذلك - من يمكن وصفه بأنه من أتباع سيدنا عيسى ، عليه السلام ، بأي حال من الأحوال .

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن أحوال الأمة الإسلامية لن تزال في تدن إلى قيام الساعة ، وقد وصف صلى الله

هل اقتربت الساعة

عليه وآله وسلم هذا التدني والانخفاض وأسبابه فقال معبرا عن
سنة الله في خلقه التي ليس لها تبديل :

« ما من عام إلا ينقص الخير فيه ويزيد الشر » (١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا
ربكم » (٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« ما من عام إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا
ربكم » (٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لن يزداد الزمان إلا شدة، ولن يزداد الناس إلا شحا ولن
تقوم الساعة إلا على شرار الناس » (٤).

-
- (١) أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه .
 - (٢) أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه .
 - (٣) أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه .
 - (٤) أخرجه ابن النجار عن أسامة بن زيد رضي الله عنه .

وقال صلى الله عليه واله وسلم :

« لا يـزـداد الأمر إلا شدة، ولا يـزـداد المال إلا إفـاضة، ولا يـزـداد الناس إلا شحاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » (١).

وقد أكـد صلى الله عليه وسلم مراراً وتكراراً أن خير القرون قرنه ثم يظل الناس فى تدنٍ حتى قيام الساعة وذلك فى الأحاديث التالية ومثلها:

« خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السَّمَنَ ، يُعْطُونَ الشهادة قبل أن يُسألوها » (٢).

« خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجى أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » (٣).

(١) أخرجه الطبراني والحاكم عن أبي أمامة ، والطبراني عن معاوية رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الترمذي والحاكم .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

« خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤمنون ، ويشهدون ولا يُستشهدون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السَّمَن » ^(١) .

« خير أمتي القرن الذي بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يخلف قوم يحبون السمانة ، يشهدون قبل أن يستشهدون » ^(٢) .

« خير الناس القرن الذي أنا فيه ، ثم الثاني ، ثم الثالث » ^(٣) .

« خير الناس قرني الذي أنا فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، والآخرون أذال » ^(٤) .

« خير الناس قرني ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، ثم يجي قوم لا خير منهم » ^(٥) .

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها .

(٤) أخرجه الحاكم والطبراني عن جمعة بن هبيرة رضي الله عنه .

(٥) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه .

« خير هذه الأمة القرن الذي بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ،
ثم يفشو أقوام يندرون ولا يوفون ، ويحلفون ولا يُستحلفون ،
ويفشو فيهم السمن » ^(١) .

« نحن خير من أبنائنا ، وينونا خير من أبنائهم ، وأبناء بنينا
خير من أبناء أبنائهم » ^(٢) .

« يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حشالة كحشالة
الشعير أو التمر » ^(٣) .

« إن أول هذه الأمة خيارهم وآخرها شرارهم ، مختلفين
متفرقين ، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلتأته منيته وهو
يأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه » ^(٤) .

وعن ربيعة بن ثابت رضي الله عنه قال : قُرْبَ لرسول الله
صلى الله عليه وسلم تمر ورطب فأكلوا منه حتى لم يبق منه شيء

(١) أخرجه الطبراني عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني عن معاذ رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري وأحمد عن مرداس الأسلمي رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود رضي الله عنه .

إلا نواه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما هذا ؟
تذهبون الخير فالخير حتى لا يبقى منكم إلا مثل هذه « (١) .
في هذه الأحاديث بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أن كل جيل يأتي يكون أسوأ من الذي قبله وخير من الذي
يليه، وأن من علامات تدهور الزمان زيادة الأموال في أيدي
الناس، وزيادة البخل والشح ، وانتشار السمنة والكذب ،
ونقض العهود .



(١) أخرجه البخاري في تاريخه وابن حبان والحاكم.

(٣) الدين يضعف شيئا فشيئا بذهاب أهله

وقد بين صلى الله عليه وآله وسلم أن الدين يضعف ويذهب شيئا فشيئا حتى لا يبقى منه شيء ، إلى حد أنه :

« لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله ! » (١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » (٢).

وفى رواية أخرى :

« بدأ الإسلام غريبا ثم يعود كما بدأ ، فطوبى للغرباء الذين يَصْلُحُونَ إذا فسد الناس ... » (٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لينتقضن الإسلام عروة عروة » (٤).

(١) أخرجه أحمد ومسلم والترمذي عن أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أحمد عن عبد الرحمن الأشجعي رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أحمد عن فيروز الديلمي رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لَتُقْضَى عَرَى الْإِسْلَامِ عَرْوَةُ عَرْوَةٍ ، فَكَلِمَا انْتَقَضَتْ عَرْوَةُ تَشَبَثَ النَّاسُ بِالتِّي تَلِيهَا ، فَأُولَئِكَ نَقْضُ الْحُكْمِ ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ » (١) .

وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم عما يعنيه بنقض الحكم حين قال :

« خِلَافَةُ النَّبِوةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ يُوْتِي اللَّهُ الْمَلِكَ مِنْ يَشَاءُ » (٢) .

وحين قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« اخِلَافَةُ بَعْدِي فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مَلِكٌ بَعْدَ ذَلِكَ » (٣) .

وحين قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إِنْ هَذَا الْأَمْرُ بَدَأَ رَحْمَةً وَنَبِوةً ، ثُمَّ يَكُونُ رَحْمَةً وَخِلَافَةً

(١) أخرجه أحمد وابن حبان عن أبي أمامة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو داود والحاكم عن سفينة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الترمذي وأحمد عن سفينة رضي الله عنه .

ثم كائن ملكا عضوضا ، ثم كائن عتوا وجبرية وفسادا في
 الأمة ، يستحلون الحرير والفروج والخمور ، ويرزقون على ذلك
 وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل » (١) .
 وحين قال صلى الله عليه وآله وسلم :
 « إن فيكم النبوة ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ،
 ثم يكون ملكا وجبرية » (٢) .
 وحين قال صلى الله عليه وآله وسلم :
 « لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة ، ولتكونن أئمة
 مضلون ، ولتخرجن على أثر ذلك الدجالون الثلاثة » (٣) .



-
- (١) أخرجه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي عن معاذ وأبي عبيدة، ونعيم بن حماد في الفتن عن حذيفة رضي الله عنهم .
 (٢) أخرجه الطبراني عن أبي عبيدة رضي الله عنه .
 (٣) أخرجه الحاكم عن حذيفة رضي الله عنه .

(٤) أسباب التدهور

إن تدهور الأمة كما يظهر من الأحاديث النبوية له أسباب أربعة مرتبطة ومتداخل بعضها ببعض ،
 فالسبب الأول فساد الأمراء ،
 والثاني فساد العلماء ،
 والثالث تقليد الأم الأخرى في كل كبيرة وصغيرة ،
 والرابع ، وهو ناشئ عن الثلاثة الأولى ويزيدها قوة ، وهو تباعد عوام الناس عن الدين وتكالبهم على الدنيا ، ووقوعهم في الكبائر التي تجر عليهم اللعنات .
 ونتيجة لهذه العوامل وهذا التدهور نجد أن الأمة تضعف ويصيبها الوهن حتى تصير لقمة سائغة في أفواه الأمم الأخرى ، حتى تداعى على هذه الأمة المنكوبة تداعى الآكلة على قصعتها . وتظهر فيهم الأمراض والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ،

ويكثر موت الفجاءة ، وتكثر الكوارث الطبيعية من زلازل وعواصف ، إلى آخر ما سيظهر من دراسة الأحاديث الشريفة .

« أ » فساد الأمراء ومن حولهم :

يقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« يكون بعدي قوم يأخذون الملك ، يقتل عليه بعضهم بعضاً » ^(١) .

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيكون بعدي خلفاء ، ومن بعد الخلفاء أمراء ، ومن

بعد الأمراء ملوك ، ومن بعد الملوك جبابرة ، ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، ثم يؤمر بعده القحطاني ، فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه » ^(٢) .

هكذا وصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تدهور أنظمة الحكم عبر الزمن ، ومن الواضح أننا أصبحنا الآن في العالم الإسلامي في المرحلة الأخيرة والسفلى من هذا الوصف التي هي

(١) أخرجه أحمد عن عمار رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

مرحلة الجبابة ، وقد وصفهم صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديث شتى فقال :

« ستكون أئمة من بعدي يقولون فلا يرد عليهم قولهم ، يتقاحمون في النار كما تقاحم القردة » ^(١) .

وفي رواية أخرى :

« تكون أمراء يقولون ولا يُردُّ عليهم ، يتهافتون في النار يتبع بعضهم بعضاً » ^(٢) .

وفي حديث آخر :

« ستكون عليكم أمراء من بعدي يأمرؤنكم بما لا تعرفون ، ويعملون بما تنكرون ، فليس أولئك عليكم بأئمة » ^(٣) .

فالحديث الأول يشير إلى أنه ما يقوله هؤلاء الأمراء نافذ ، لا يرد عليهم من حولهم إلا : « موافقون ! موافقون ! » والثاني إلى أنهم سوف يبدلون المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، فزالت عنهم بذلك صفة الإمامة .

(١) أخرجه أحمد عن عمار رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني عن معاوية رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني عن جاحل الصدفي رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

وليس الأمراء أو الجبابرة في فراغ ، فحولهم بطانة من أصحاب المراكز والمصالح ، وقد جاء ذكرهم في هذه الأحاديث .
« ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ؛ فالمعصوم من عصمه الله » ^(١) .

« ما بعث الله من نبي ، ولا كان بعده من خليفة ، إلا كان له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالا ؛ فمن وقي بطانة السوء فقد وقي » ^(٢) .
« ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها » ^(٣) .

وهذه الأحاديث فيها دلالة واضحة وجلية على أن كل جبار له بطانة سوء ، وهم المنتفعون من مراكزهم وقربهم من ذلك الجبار وهم الذين يديرون أمور البلاد لحسابه ولحسابهم الخاص ،

(١) أخرجه أحمد والبخاري والنسائي عن أبي سعيد رضي الله عنه .

(٢) أخرجه النسائي عن أبي أيوب رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما .

فيأمرونه بالمنكر ، وينهونه عن ايتاء كل ذي حق حقه ، ويرينون له فعل اضطهاد الناس ، والتكيل بمن يظن فيه المعارضة ، والأخذ بالشبهات . وهم كما توضح الأحاديث القادمة يسرون في درب غير درب الإسلام :

« ألا إن رحى الاسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب ... »^(١)
وافترق الحكم عن الشريعة تم على مراحل حتى وصل إلى ما نراه اليوم من دول تسمي نفسها إسلامية ويقضى فيها بقوانين وضعية وليس بشرع الله عز وجل، ويكون فيها الضعيف مقهوراً، بينما صاحب الجاه الدنيوي فوق القانون. وهذه الأمور تجر على الأمة البلاء الشديد، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ... »^(٢).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية والطبراني عن معاذ رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أصحاب الكتب الستة عن عائشة رضي الله عنها .

هل اقتربت الساعة

وفى حديث آخر :

« حَدَّ يَقَام فِي الْأَرْض خَيْر لَأَهْلِ الْأَرْض مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا
ثَلَاثِينَ صَبَاحًا » ^(١).

وفى حديث آخر :

« ... وَلَا حَكَمَ أَمْرَاهُمْ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا سَلَطَ عَلَيْهِمْ
عَدُوَّهُمْ فَاسْتَنْفَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا عَطَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ
وَسَنَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ » ^(٢)

وفى حديث آخر :

« ... وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا فَشَا فِيهِمْ
الْفَقْرُ... » ^(٣).

فما موقف المرء المسلم من هؤلاء الحكام ؟

يقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« اسْمَعُوا ، إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ ، فَلَا تَعِينُوهُمْ عَلَى

(١) أخرجه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه ابن ماجه والبخاري والبيهقي والحاكم عن ابن عمر رضي الله
عنهما .

(٣) أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ظلمهم ، ولا تُصدّقوهم بكذبهم ، فإنه من أعانهم على ظلمهم
وصدّقهم على كذبهم فلن يرد الخوض ^(١) .

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« اسمعوا ، هل سمعتم ، إنه سيكون بعدي أمراء ، فمن
دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم ، فليس
مني ولست منه ، وليس بوارد عليّ الخوض . ومن لم يدخل
عليهم ، ولم يعنهم على ظلمهم ، ولم يصدّقهم بكذبهم ، فهو
مني وأنا منه ، وهو وارد عليّ الخوض ^(٢) .

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ، ولا يستنون
بسنتي ، وسيقوم رجال قلوبهم قلوب شياطين في جثمان
إنسان .

قال حذيفة : « كيف أصنع إن أدركني ذلك ؟ »

قال : « السمع للأمر أعظم وإن ضرب ظهرك وأخذ

(١) أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وأبو يعلى والطبراني عن عبد الله بن
خباب عن أبيه رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الترمذي وابن حبان عن كعب بن عجرة رضي الله عنه .

مالك « (١) .

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيكون عليكم أمراء يأمرؤنكم بما لا يفعلون ، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولن يرد عليّ الخوض » (٢) .

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« ستكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم ، يحدثونكم فيكذبونكم ، ويعملون فيسيئون العمل ، لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم وتصدقوا كذبهم ، فأعطوهم الحق مارضوا به ، فإذا تجاوزوا فمن قتل على ذلك فهو شهيد » (٣) .

وكذلك يقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« ستكون بعدي أئمة وأمر تنكرونها » .

قالوا : « فما تأمرنا ؟ »

(١) أخرجه ابن سعد عن حذيفة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه الطبراني عن أبي سلافة الأسلمي رضي الله عنه .

قال : « تؤدون الحق الذي عليكم وتسالون الله الذي لكم » (١).

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم:

« ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره بريء ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتابع لم يبرأ » (٢).

صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . الحكام يستأثرون بأموال الشعوب ، ويتحكمون في أرزاقهم ، ويكذبون عليهم بالتصريحات الكاذبة والوعود الجوفاء ، ويسIRON بالناس في طريق لا يؤدي إلا إلى اضطرابهم لأكل الحرام من رشوة واختلاس وخلافه .

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم : « تؤدون الحق الذي عليكم ، أي على الرغم من الظلم الواقع ، وتسالون الله الذي لكم » ، أي لا ترجو الأمة الخير إلا من الله ولا تنتظره من هؤلاء الحكام .

(١) أخرجه البخارى ومسلم وأحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود عن أم سلمة رضي الله عنها .

هل اقتربت الساعة

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« خذوا العطاء ما كان عطاءً ، فإذا كان إنما هو رشاء فاتركوه ، ولا أراكم تفعلون ، يحملكم على ذلك الفقر والحاجة ، ألا وإن رحى بني مرخ قد دارت ، وإن رحى الإسلام دائرة ، وإن الكتاب والسلطان سيفترقان ، فدوروا مع الكتاب حيث دار .

وستكون عليكم أمة إن أطعموهم أضلوكم ، وإن عصيتموهم قتلوكم » .

قالوا : « كيف نصنع يا رسول الله ؟ »

قال : « كونوا كأصحاب عيسى ، نصبوا على الخشب ونشروا بالمنشير . موت في طاعة خير من حياة في معصية » ^(١) .

وفى رواية أخرى :

« خذوا العطاء مادام عطاء ، فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه ، ولستم بتاركيه ، يمنعكم الفقر والحاجة . ألا إن رحى

(١) أخرجه ابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه .

الإسلام دائرة ، فدوروا مع الكتاب حيث دار . ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان ، فلا تفارقوا الكتاب . ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما يقضون ، إن عصيتموهم قتلوكم ، وإن أطعتموهم أضلوكم .

قالوا : « يارسول الله كيف نصنع ؟ »

قال : « صنع أصحاب عيسى بن مريم ، نشروا بالمناشير وحملوا على الخشب ؛ موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله . » (١)

فأول الأشياء إذن هو عدم طاعة هؤلاء الجبابرة في معصية الله ، وإن تعرض المرء للأذى بسبب ذلك .

وثانيها ، عدم الرضا عن عملهم بالقلب .

وثالثها ، كما في الحديث القادم ، عدم مساعدتهم على

ظلمهم بالعمل لحسابهم وخدمتهم .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية والطبراني عن معاذ رضي الله عنه .

« على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« ليأتين على الناس زمان يكون عليكم أمراء سفهاء ، يقدمون شرار الناس ، ويظهرون حب خيارهم ، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها ، فمن أدرك ذلك منكم فلا يكون عريفا ولا شرطيا ولا جاييا ولا خازنا ؟ » (٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« يكون في آخر الزمان أمراء ظلمة ، ووزراء فسقة ، وقضاة خونة ، وفقهاء كذبة ، فمن أدركهم فلا يكون لهم

(١) أخرجه النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه أبو يعلى وسعيد بن منصور في سننه عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما .

العرف : المسئول الكبير . والشرطي : معروف . والجايي : الذي يجمع الضرائب . والخازن : المسئول عن حفظ وتوزيع مافي الخزانة بأمر الحاكم .

عريفا ولا جابيا ولا خازنا ولا شرطيا» ^(١).

ورابعها ، النصيحة لهم إن أمكن وكان الناصح يطمع أن يستمع له .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إنما الدين النصيحة »

قالوا : « لمن يارسل الله ؟ »

قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» ^(٢).

وسأل رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد وضع رجله في الغرز : « أي الجهاد أفضل ؟ » فقال له صلى الله عليه وآله وسلم : « كلمة حق عند سلطان جائر » ^(٣).

وقال صلى الله عليه وآله سلم :

« إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له إنك ظالم فقد

(١) أخرجه الخطيب عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم والنسائي عن تميم الداري رضي الله عنه .

(٣) أخرجه النسائي عن طارق بن شهاب رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

تُودع منهم « (١) .

فإذا كان الحاكم ممن لا يخاف الله ، ولا يستمع النصيحة ،
ويؤذي من ينصحه، ويضطهد من يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر،
فماذا يكون العمل حينئذ ؟

يقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم
وُصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم
ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم » .

قالوا : « يا رسول الله أفلا ننايهم عند ذلك ؟ »

قال : « لا ما أقاموا فيكم الصلاة . ألا من وليّ عليه وال
فراّه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا
ينزعن يدا من طاعة » (٢) .

(١) أخرجه أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عمر رضي الله
عنهما ، والطبراني عن جابر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :
 « يكون عليكم أمراء تطمئن إليهم القلوب وتلين لهم
 الجلود، ثم يكون عليكم أمراء تشمئز منهم القلوب وتقشعر
 منهم الجلود » .

قيل : « أفلا نقاتلهم يارسول الله ؟ »
 قال : « لا ما أقاموا الصلاة ! » ^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :
 « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كان
 رأسه زبيبة » ^(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :
 « اسمع وأطع ولو لعبد حبشي مجدع الأنف » ^(٣).
 وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما

(١) أخرجه أحمد وأبو يعلى عن أبي سعيد رضي الله عنه .
 (٢) أخرجه أحمد والبخاري وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه .
 (٣) أخرجه أحمد ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه .

حملتم « (١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« اسمع وأطع ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة » (٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إنما الإمام جنة يُقاتل من ورائه ويُتقى به . فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا ، وإن أمر بغيره فإن عليه وزراً » (٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لولا أنكم تسبّون أمرائكم لأرسل الله عليهم نارا فاهلكتهم ، إنما يدفع الله بسبكم إياهم » (٤) .

والحكمة من هذه الأوامر واضحة ، فإن الأمور ذاهبة إلى أسوأ لا محالة ، وكل فتنة أو هزة في نظام الحكم إنما تسرع بهذا

(١) أخرجه مسلم والترمذي عن وائل الحضرمي رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الديلمي عن ابن عمرو رضي الله عنهما .

التدهور ، فالصبر على السلطان الجائر وعدم إحداث فتنة يختل بها النظام أقل الضررين ، فإن اختلال النظام لا بد وأن يؤدي إلى ظهور من هم أكثر ظلماً وجوراً ، فإن الأرض لا بد وأن تُملأ « ظلماً وجوراً » كما في أحاديث الإمام المهدي الكثيرة ، وكل اختلال في النظام إنما يزيد من سرعة التدهور ولا يأتي بخير أبداً . وهذا بالطبع عكس مبدأ الخوارج الذين قتلوا سيدنا عثمان ، رضي الله عنه ، ثم رفضوا إمارة سيدنا الإمام علي ، رضي الله عنه ، وخرجوا عليه ، وتمكنوا من اغتياله ، ولم يزلوا منذ ذلك الوقت مصدر فتنة وقلاقل في الأمة ، وذلك لجهلهم بهذه القواعد التي أرساها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وميلهم إلى العنف واتباع الهوى مع إدعائهم أنهم أعلم من علماء الأمة وأنهم يصلحون ﴿ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ .^(١)

(١) سورة البقرة ، آية : ١٢

هل اقتربت الساعة

«ب» السبب الثاني من أسباب تدهور الأمة تناقص
عدد العلماء العاملين وظهور الجهال والدجالين:

يقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن
يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ
الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا
وأضلوا » (١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيأتي على أمتي زمان يكثرفيه القراء ويقل الفقهاء
ويقبض العلم ... » (٢).

والقراء هم الذين يقرأون العلم ولا يعملون به ولا يفقهونه،
وقد يكون المقصود بالقراء المثقفين الذين يقرأون كل شيء غير
ذی فائدة ويتبعون الآراء والمذاهب المستوردة، أو الذين يقرأون
القرآن لا يجاوز تراقيهم ويظنون أنهم هم المفلحون. وكثرة القراء

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه الطبراني والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

يصحبها قبض العلم بقبض العلماء الصالحين الذين هم « ورثة الأنبياء » كما قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » ^(١).

أما علماء السوء فهم الذين باعوا دينهم واشتروا به الدنيا فكانوا طوع إشارة الحكام، يحلون لهم الحرام، ويحرمون الحلال، وينكرون على العلماء العاملين. وعلماء السوء يقولون ولا يفعلون، ويستحلون ما يحرمونه على الناس.

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« من اقترب الساعة إذا كثر خطباء منابركم، وركن علماءكم إلى ولائكم، فأحلوا لهم الحرام، وحرّموا عليهم الحلال، فأفتوهم بما يشتهون، وتعلم علماءكم ليحلّوا به دنائيركم ودراهمكم، واتخذتم القرآن تجارة الحديث » ^(٢).

(١) أخرجه الترمذي وابن النجار عن أنس وابن عدي عن علي رضي الله عنه وأخرج أبو داود نحوه.

(٢) أخرجه الديلمي عن علي رضي الله عنه.

هل اقتربت الساعة

وإذا قلّ عدد العلماء الصالحين صارت الساحة خالية ممن يدافع عن دين الله وظهر الدجالون الذين يزينون للناس المذاهب الفاسدة والبدع التي لم تكن في إسلافهم، ومنهم من يتكلم بإسم الإسلام فيفسد على الناس دينهم، ومنهم من يتكلم بلسان الحضارة الغربية، يدعو الناس إلى قبول كل ما جاءت به دون تدبر ولا روية.

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن بين يدي الساعة كذايين فاحذروهم » . (١)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن بين يدي الساعة ثلاثين دجالاً كذاباً » . (٢)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيكون في آخر الزمان ناس من أمتي يحدثونكم بما لم

تسمعوا به أنتم وآباؤكم، فإياكم وإياهم » . (٣)

(١) أخرجه أحمد وأحمد ومسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

« ج » أما السبب الثالث من أسباب التدهور ، فهو
تقليد الأمم الكافرة تقليداً أعمى يذهب البركة من الأمة
ويدرّ عليها اللعنات :

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لتبعن سنة من كان قبلكم ، شبرا بشبر ، وذراعاً
بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لبعثتموهم » .
قلنا : « يارسول الله ، اليهود والنصارى ؟ »
قال : « فمن ؟ » ^(١) .

والدخول في جحر الضب مثال ضربه النبي صلى الله عليه وآله
وآله وسلم على غاية الجهل والسفه وطمس البصيرة ، أي إنهم
سوف يقلدون اليهود والنصارى تقليداً أعمى ، بلا وعي ولا روية ،
إلى هذه الدرجة التي تفوق الخيال ؛ وقد فعلوا !
قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا تترك هذه الأمة شيئا من سنن الأولين حتى

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

تأتيه « (١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لتسلكن سنن من كان قبلكم حذوا النعل بالنعل ، ولتأخذن بمثل أخذهم ، إن شبرا فشبر ، وإن ذراعا فذراع ، وإن باعا فباع ، حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتم فيه ... » (٢) .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لتبعن سنن الذين من قبلكم ، شبرا بشبرا ، وذراعا بذراع ، حتى لو سلکوا جحر ضب لسلکتموه » .

قالوا : « اليهود والنصارى ؟ »

قال : « فمن ؟ » (٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لتركن سنن من كان قبلكم ، شبرا بشبر ، وذراعا

(١) أخرجه الطبراني عن المستورد رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الحاكم .

(٣) أخرجه أحمد وابن ماجه عن أبي سعيد ، والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنهم .

بذراع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه « (١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« ليحذون شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم من أهل الكتاب حذو القذة بالقذة » (٢).

[والقذة ريش السهم]

وهنا بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن المبادرين إلى اتباع هذا النهج هم شرار الأمة وهم الذين يبدأون بهذه التيارات الغريبة التي لا يلبث الباؤون أن ينجرفوا فيها .

وقد حدث هذا بالرغم من التحذيرات النبوية المشددة :

« ليس منا من تشبه بغيرنا ، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى ... » (٣).

(١) أخرجه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبراني عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي عن ابن عمرو رضي الله عنهما .

هل اقتربت الساعة

« ليس منا من عمل بسنة غيرنا » ^(١).

إن تقليد الأمم الأخرى في عاداتهم وتقاليدهم وانحطاطهم وهجر السنة المحمدية المطهرة لابد وأن يؤدي إلى كوارث لا نهاية لها.

وسوف نسوق الأحاديث الدالة على ذلك فيما بعد ، ويكفي هنا أن نشير إلى سنة واحدة أخبرنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بنتيجة تركها حين قال :

« العمام تيجان العرب فإذا وضعوها وضعوا عزهم » ^(٢).

وفي رواية أخرى :

« العمام تيجان العرب ، فإذا وضعوا العمام وضع الله عزهم » ^(٣).

وفي رواية أخرى :

-
- (١) أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما .
 - (٢) أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما .
 - (٣) أخرجه ابن السني عن ابن عباس رضي الله عنهما .

« العمامم وقار للمؤمن وعز للعرب ، فإذا وضعت العرب
عمائمها وضعت عزها » (١).

ولقد حدث ما أنذر به ، فإنه لم تترك العمائم فحسب ولكن
ترك اللباس الإسلامي رأسا ، وكذلك الأداب النبوية في كل كبيرة
وصغيرة من أمور الدنيا ، حتى صار الناس أعاجم ، أي « غربيين » ،
في كل شيء ما عدا اللغة العربية التي لا زالوا ينطقون بها .
قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« اللهم لا يدركني زمان أو لا تدركوا زمانا لا يتبع فيه
العليم ، ولا يستحي فيه من الخليم ، قلوبهم قلوب الأعاجم ،
ألسنتهم وألسنة العرب » (٢) .
وفي رواية أخرى :

« يأتي على الناس زمان لا يتبع فيه العالم ، ولا يستحي فيه
من الخليم ، ولا يوقر فيه الكبير ، ولا يرحم فيه الصغير ، يقتل
بعضهم بعضا على الدنيا ، قلوبهم قلوب الأعاجم ، وألسنتهم

(١) أخرجه الديلمي عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد بن سهل بن سعد رضي الله عنه .

السنة العرب ، لا يعرفون معروفا ، ولا ينكرون منكرا ، يمشي الصالح فيهم مستخفيا ، أولئك شرار خلق الله ولا ينظر الله اليهم يوم القيامة ، (١).

فإن قلوب الناس اليوم ليس فيها إلا الإعجاب بالغرب في شتى مجالات حياتهم حتى المنحطة منها ممثلة في ذكر ممثليهم ومشاهيرهم ولاعبي كرة القدم ، والاهتمام بأغانيهم وكتبهم ومجلاتهم وشهاداتهم وآراءهم وفلسفاتهم وأزيائهم ، وهذا يجعل الناس بحق قلوبهم قلوب الأعاجم مع أنهم لا يزالون ينطقون بالعربية ، وإن كان ذلك باللهجات العامية منها .

« د » فساد العامة :

وأخيرا إذا تحدثنا عن أحوال العامة ، وهجرهم لسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم لهشا وراء الدنيا ، فإن هذا أمر مشاهد لكل ذي علم وبصيرة . ولقد قارن المصطفى صلى الله

(١) أخرجه الديلمي عن علي رضي الله عنه .

عليه وآله وسلم بين أحوال القرون الأولى وبين المتأخرين فقال :
« إنكم في زمان علماء كثير وخطباء قليل ، من ترك
عشر ما يعلم غوى ، سيأتي على الناس زمان يقل علماءه
ويكثر خطبائه ، من تمسك فيه بعشر ما يعلم نجا » .^(١)

وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإننا في زمن
الخطباء فيه في كل مكان ، وقد اعتلوا منابر المساجد والمحافل
والنوادى ومناسبات الأعياد والاحتفالات القومية والحزبية
والانتخابية والنقابية ، وكثروا في البرلمان والتلفزيون والمدارس ، أما
العلماء فلم يعد لهم ظهور إلا في القليل النادر ، ولذلك فسد
أكثر الناس ، وفي مثل هذه البيئة لعل من تمسك بعشر ما يعلم
ينطبق عليه الحديث الشريف .

ولقد قال صلى الله عليه وآله وسلم :
« إذا كانت أمراؤكم خياركم ، وأغنياؤكم سمحاءكم ،
وأموركم شورى بينكم ، فظهر الأرض خير لكم من بطنها . وإذا

(١) أخرجه أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

كانت أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأموركم إلى نسانكم ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها « ^(١) .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لكل شئ إقبال وإدبار ، وإن من إقبال هذا الدين أن تفقه القبيلة كلها بأسرها ، حتى لا يوجد فيها إلا الرجل الجافي أو الرجلان . وإن من إدبار هذا الدين أن تجفو القبيلة كلها بأسرها حتى لا يوجد فيها إلا الرجل الفقيه أو الرجلان ، فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على ذلك أعوانا ولا أنصاراً » ^(٢) .

حتى إذا شاعت الفوضى ، وصار الناس جميعهم من حكام وفقهاء ومحكومين يتصرفون تصرف من لا عقل له ، يعتدون على بعضهم البعض ويدعون أعدائهم الكفار ، كل منهم معجب برأيه وأفكاره ويتهم سائر الناس بأنهم لا يفقهون شيئا ، صاروا كما قال صلى الله عليه وآله وسلم :

(١) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) أخرجه ابن السني وأبو نعيم عن أبي أمامة رضي الله عنه .

« إن بين يدي الساعة الهرج - القتل - وما هو قتل الكفار
ولكن قتل الأمة بعضها بعضاً، حتى ان الرجل يلقاه أخوه
فيقتله. يُنتزع عقول أهل ذلك الزمان، وتخلف لها هباء من
الناس، يحسب أكثرهم أنهم على شيء وليسوا على شيء. »^(١)



(١) أخرجه أحمد وابن ماجه عن أبي موسى رضى الله عنه.

(٥) مظاهر الفساد

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
 « إذا اتخذ الفي دولا ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ،
 وتعلم لغير دين ، وأطاع الرجل امرأة وعق أمه ، وأدنى صديقه
 وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات في المساجد ، وساد القبيلة
 فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ،
 وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمر ولعن آخر هذه
 الأمة أولها ، فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا
 ومسحا وقذفا^(١) .

ولقد اتخذت الأمانة مغنما أي أن كل من استودع أمانة
 استولى عليها ، ونفر الناس من الزكاة وتحابلوا على وضعها في
 غير محلها ، وتعلم لغير الدين بل للدنيا والمال والجاه ، وأطاع

(١) أخرجه الترمذي عن علي وأبي هريرة رضي الله عنهما .

هل اقتربت الساعة

الرجل امرأته على حساب بره بوالدته ، كما هو الحال في الغرب حيث لا يعتبر بر الوالدين أمراً ذا شأن وإنما الشأن كل الشأن في إرضاء الزوجة ، ووجد الشباب راحتهم مع أصدقائهم في النوادي وأماكن اللهو والمجون وفضلوهم على آبائهم ، وصار بينهم وبين آبائهم جفوة وتباعد ، واتهموهم بالرجعية والتخلف ، وكذلك سائر ما ذكر في الحديث واقع مشاهد من وجود زعماء سفلة ومغنيات وموسيقى وحانات الخمر العلنية المعترف بها من حكومات الدول بل وصناعة الخمر في هذه الدول ، ولعن الروافض للصحابة ، وكذلك كثرة الزلازل ، والقذف بالصواريخ والقنابل ، والخسف ، وهو اختفاء قرى كاملة في الأرض أثناء الزلازل .

ويصف صلى الله عليه وآله وسلم أنواعا من الناس لا تظهر إلا في آخر الزمان :

« صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة ،

لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« يكون في آخر الزمان رجال يركبون على الميائثر حتى يأتون أبواب المساجد ، نساؤهم كدسيات عاريات ، على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف ،^(٢) إلعنوهن فإنهن ملعونات. لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمتهم نساؤكم كما خدمتكم نساء الأمم قبلكم » .

قال ابن عمرو رضي الله عنهما « وقلت لأبي : وما الميائثر؟
« قال : سروج عظام »^(٣).

وفي رواية أخرى:

« سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروج

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) البخت هي الإبل ، والعجاف : أي الهزيلة ، فإن أسنمة الإبل الهزيلة تكون مائلة إلى أحد الجانبين.

(٣) أخرجه أحمد والحاكم عن ابن عمرو رضي الله عنهما.

كأشباه الرجال، ينزلون على أبواب المساجد. نساؤهم كاسيات عاريات علي رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات»^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيكون في آخر الزمان نساء يركبن على سروج كأشباه الرجال ، ينزلون على باب المسجد ، كاسيات عاريات ، على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف ، لو كانت وراءكم أمة من الأمم تخدمهم نساؤكم كما يخدمكم نساء الأمم قبلكم »^(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إذا رأيتم اللاتي ألقين على رؤوسهن مثل أسنمة البُغَر فأعلموهن أنه لا تقبل لهن صلاة »^(٣).

وهذا وصف دقيق للغاية للسيارات التي هي الميائير يركبها

(١) أخرجه أحمد عن ابن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبراني عن ابن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبراني عن أبي شقرة رضي الله عنه.

الرجال والنساء ويصفونها على أبواب المساجد، ووصف دقيق
لنساء اليوم اللاتي يتزين بزي الأعاجم، فإما يكون ذلك الزي
شفافاً، وإما يبرز مفاتن الجسم، فهن لا كاسيات ولا عاريات،
وعلى رؤوسهن القبعات المائلة كأسنمة البخت أي الجمال .

وفيد الحديث أن هذا غاية في التدهور لهذه الأمة إذ أنها
وصلت لما وصلت اليه الأمم السابقة من الانهيار حينما باغتهم
المسلمون واستولوا على بلادهم وصارت نساؤهم تخدمهم، فلو
كان نبي بعد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم لكانت أمته
أعادت الكرة فغزت هذه الأمة بعد أن أصابها الانحطاط والفوضى،
وانتصرت عليها واستذلتها، إلا أنه لا نبي بعده، صلى الله عليه
وسلم.

ونوع آخر من الناس وصفه الحديث الشريف :

« يأتي على الناس زمان همهم بطونهم ، وشرهمهم
متاعهم ، وقبلتهم نساؤهم ، ودينهم دراهمهم ودنانيرهم ،
أولئك شر الخلق لا خلاق لهم » (١).

(١) أخرجه أبو عبد الله السلمي عن علي رضي الله عنه.

وفى حديث آخر :

« إذا رأيت الناس قد مرجّت عهودهم ، وخقت أماناتهم ، وكانوا هكذا (وشبك بين أصابعه) فالزم بيتك ، واملك عليك لسانك ، وخذ ما تعرفه ودع ما تنكر ، وعليك بأمر خاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة »^(١).

ولما سأل أبو ثعلبة الخشني النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرْكُمْ مِنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾^(٢).

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخصة نفسك ، ودع عنك أمر العوام . وإن من ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ،

(١) أخرجه أبو داود والحاكم عن ابن عمرو رضي الله عنه .

(٢) سورة المائدة ، آية : ١٠٥ .

للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم .

قالوا : « يا رسول الله ، أجر خمسين منهم ؟ »

قال : « لا ، بل أجر خمسين منكم ا » ^(١).

فإذا صار الزمن كذلك فشا الربا بشكل لم يكن بالإمكان تخيله من قبل اختراع البنوك ، وإنها لمن معجزات النبي البينة صلى الله عليه وآله وسلم إذ أخبر بهذا بدقة ووضوح فقال :

« ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا ، فمن لم يأكله أصابه من غباره » ^(٢).

فالיום إن لم تكن تأكل فوائد البنوك فإنك لا محالة مصيبك غبارها ، إذ أن التجارة والمعاملات المالية والإنشائية والصناعية والزراعية كلها تدور من خلال البنوك ، وكذلك من خلالها تصل إلى الموظفين رواتبهم ومنهم علماء الأزهر وأئمة المساجد وقارئو القرآن ، فكيف الخلاص ؟ وأغلب الناس هذه الأيام لا يسالي إن

(١) أخرجه ابوداود والترمذي وابن ماجه .

(٢) أخرجه أبوداود وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

كان المال من ربا أو من أي وجه آخر من الحرام كما قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال ، أمن حلال أم من حرام ؟ » (١).

والربا من أخطر الموبقات . وقد أندر الله عز وجل الناس بحرب منه إن لم يتركوه فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (٢).

والحرب من الله شيء خطيرة عواقبه وسوف نتناول هذه العواقب بالتفصيل فيما بعد .

وكذلك بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما يحدث في سائر أمور الأمة ، فإن العلماء يقلّون ، ومن سمّاهم بالروبيضة أي الجهلاء الذين تكون لهم الكلمة في الأمور العامة يكثرون ، وتزداد

(١) أخرجه البخاري وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٨٩ .

الفتن في كافة نواحي الحياة، ويكثر الزنا، وتسوء الأخلاق حتى تذهب الأمانة والصدق وصلة الرحم وحسن الجوار، ويطمس على بصيرة الناس فكلما جاءهم فاسق نبأ صدقوه، وإذا تكلم فيهم الناصح الأمين كذبوه، ويكثر شرب الخمر، والشذوذ، وأصناف الموبقات.. ولندع الأحاديث الشريفة تتكلم وتخبرنا بهذه الأمور وغيرها مما هو حادث اليوم :

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيأتي على الناس سنوات خداعات ، يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق ، ويُؤتمن فيها الخائن ، ويُخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويضة ». قيل : « وما الرويضة ؟ » قال : « الرجل التافه يتكلم في أمر العامة »^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتكم قليلا ، يظهر النفاق ، وترتفع الأمانة ، وتقبض الرحمة ، ويتهم الأمين ،

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ويؤمن غير الأمين . ناخ بكم الشُّرف الجون ، الفتن كأمثال
الليل المظلم» ^(١).

(والشرف الجون هي الفتن المظلمة)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ، ويكثر الجهل ،
ويكثر الزنا ، ويكثر شرب الخمر » ^(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ،
ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، وحتى يتناول الناس في
البنيان» ^(٣).

ومعنى « تظهر الفتن » أي أنها بعد أن كانت مستورة تصبح
ظاهرة في كل مكان ، لا أنها لم تكن بالمرّة ثم كانت. وكذلك

(١) أخرجه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يظهر النفاق، وتظهر القينات والمعارف، أي تصبح منتشرة علانية بعد أن كانت نادرة مستخفية .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيأتي على أمتي زمان يكثر فيه القراء ويقل الفقهاء ، ويُقبض العلم ، ويكثر الهرج ، ثم يأتي من بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال من أمتي لا يجاوز تراقيهم ، ثم يأتي من بعد ذلك زمان يجادل المشرك بالله المؤمن بمثل ما يقول »^(١).

ومعنى هذا الحديث أن الفقهاء وهم العلماء العاملون المخلصون سيذهبون ، ويحل محلهم كثرة من القراء الذين تعلموا العلم للدنيا لا لله عز وجل ، ولذلك يُقبض أي يُرفع العلم من الأرض . والهرج : القتل . وقراءة القرآن بحيث لا يجاوز التراقي أي لا يتعدى الحلق إلى القلب ، أي باللسان فقط . أما مجادلة المشرك المؤمن بمثل ما يقول فيكون من المستشرقين الذين درسوا

(١) أخرجه الطبراني والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

هل اقتربت الساعة

القرآن والحديث بإيعاز من الكنيسة لمجادلة المسلمين بكلامهم وإيهامهم أن فيه أخطاء وتناقضات ، وقد ظهر هؤلاء بكثرة ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما قال إجمالا وتفصيلا .

ومن العلامات الأخرى المذكورة في الأحاديث :
 « من اقتراب الساعة كثرة الطلاق وموت الفجاءة »^(١) .
 « سيأتي على الناس زمان يُخَيَّر فيه الرجل بين العجز والفجور ، فمن أدرك ذلك الزمان فليختر العجز على الفجور »^(٢) .

والعجز هنا بمعنى أنه سوف يدعى الرجل لمشاركة ذوي السلطة وآخرين في فجورهم ، فإن لم يشاركهم فلا يسعه إلا أن يقف موقف العاجز الذي يرى الفجور أمامه ولا يستطيع أمرا بمعروف ولانها عن منكر: فيكون قد اختار العجز على الفجور.

(١) أخرجه الطبراني وأبو نعيم عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :
 « كيف بكم أيها الناس إذا طغى نساؤكم وفسق
 شبابكم ؟ »

قالوا : « يا رسول الله ، إن هذا لكائن ؟ »
 قال : « نعم ! »^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :
 « إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكون الولد غيظا ،
 وأن يكون المطر قيظا ، وأن تفيض الأشرار فيضا »^(٢).

أن يكون الولد غيظا أي لا يأتي منه إلا شر ، وهذا منتشر الآن
 بانتشار المخدرات والخمر والملاهي وسائر الموبقات . أما المطر فسوف
 يكون كثيرا ولكن ما ينبت من النبات قليل لقلة البركة . وأما فيض
 الأشرار فمعناه ظهورهم في الناس لكثرتهم .

ولما كان المال يفيض فيضا في آخر الزمان ، كما أخبر صلى

(١) أخرجه أبو يعلى والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

الله عليه وآله وسلم ، وتفتح الدنيا أبوابها ، « وترى الحفاة العراة
رعاء الشاء يتطاولون في البنيان »^(١) ، فإنه يكون نوع من الناس
تظهر عليهم الرفاهية في إسراف ، ولا يكون همهم إلا بطونهم
وفروجهم ، ويظهر فيهم كفر النعمة والبطر ، والتشاحن على
متاع الدنيا ، والتباغض والتحاسد ، وتعدي كل منهم على أموال
وممتلكات الآخر .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام ، ويشربون
ألوان الشراب ، ويلبسون ألوان الثياب ، ويتشددون في
الكلام ، فأولئك شرار أمتي »^(٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيصيب أمتي داء الأمم : الأشر ، والبَطَر ، والتكاثُر ،
والتشاحن في الدنيا ، والتباغض والتحاسد ، حتى

(١) متفق عليه عن عمر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني وأبو نعيم عن أبي أمامة رضي الله عنه .

يكون البغي»^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيكون في آخر أمتي أقوام يزخرفون مساجدهم ويخربون قلوبهم ، يتقي أحدهم على ثوبه ما لا يتقي على دينه ، لا ييالي أحدهم إذا سلمت له دنياه ما كان من أمر دينه »^(٢).

ولما طلب الناس الدنيا على حساب دينهم ، وخافوا عليها ولم يخافوا من ربهم ، تراجعوا عن الجهاد في سبيل الله ، حكما ومحكومين .

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« من أشراط الساعة سوء الجوار ، وقطيعة الأرحام ، وتعطيل السيف عن الجهاد ، وأن تختل الدنيا بالدين »^(٣).

(١) أخرجه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الحاكم في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه ابو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

وظهرت الطامة الكبرى وهي الشذوذ الجنسي :
 « من أعلام الساعة وأشراتها أن يكتفي الرجال بالرجال
 والنساء بالنساء » (١).

وقد بين صلى الله عليه وآله وسلم أن حب الدنيا ونسيان
 الآخرة أصل كل شر ومفسدة فقال :
 « ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن لكل شيء آفة تفسده ،
 وأعظم الآفات آفة تصيب أمتي حبهم الدنيا ، وحبهم الدينار
 والدرهم . يا أبا هريرة لا خير في كثير من جمعها ، إلا من
 سلطه الله عز وجل على هلكتها في الحق » (٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه :
 « أنتم الآن على بينة من ربكم ، تأمرون بالمعروف
 وتنهون عن المنكر ، وتجاهدون في سبيل الله ، ثم تظهر فيكم
 السكرتان : سكرة العيش وسكرة الجهل ، وستحولون إلى غير

(١) أخرجه الطبراني وأبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ذلك ، يفشو فيكم حب الدنيا ، فإذا كنتم كذلك لم تأمروا
بمعروف ، ولم تنهوا عن منكر ، ولم تجاهدوا في سبيل الله ،
والقائمون يومئذ بالكتاب والسنة والعلانية هم السابقون
الأولون » (١).

وقد سمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حب الدنيا
« سكرة » ، ولا يكون حب الدنيا إلا مع الجهل ، فالجهل إذن هو
السكرة الأخرى .



(١) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول مرسلاً.

(٦) نتائج الفساد

إلى ماذا يؤدي حب الدنيا ؟

ليس إلا إلى المصائب والكوارث .

فإن حب الدنيا والبعد عن الدين والفضائل والأخلاق يؤدي إلى انتشار المعاصي والموبقات ، واندثار محاسن الأعمال ، فعندما ينتشر الجهل ويستهان بالعلم والعلماء ، وتظهر الفواحش والظلم وتطفيف الكيل والميزان ، تزداد الفتن والكوارث الطبيعية والأمراض والحروب والقتل ، ويظهر الكفار على المسلمين ، ويستذلّوهم ولا يقاومهم المسلمون ولا يجاهدونهم ، ولكن يبغى بعضهم على بعض ، ويقتل بعضهم بعضاً .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر

الزلازل ، وتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر

الهرج - أي القتل - « (١) .

ان الكوارث الطبيعية مثل الزلازل تزداد ، وكذلك الرياح العنيفة المدمرة ويقال لها في الحديث الرياح الحمراء ، ثم الخسف وهو ابتلاع الأرض ، والمسخ وهو تغيير خلقة الله وهو حادث الان على صورة التشوهات التي تحدث في الأجنة نتيجة للأدوية والإشعاعات الذرية وتلوث البيئة ، وأخبارها وصورها في الصحف ووسائل الإعلام .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء :

إذا كان المغنم دُولًا ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ، وأطاع الرجل زوجته وعقَّ أمه ، وبرَّ صديقه وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمر ، ولبس الحرير ،

(١) أخرجه أحمد والبخاري وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وَاتَّخَذَتِ الْقِينَاتِ وَالْمَعَارِفُ ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْلَهَا ،
فَلْيُرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ أَوْ خُسْفَا أَوْ مَسْخَا ^(١) .

وَاتَّخَاذَ الْأَمَانَةِ مَغْنَمًا يَذْكُرْنَا بِشُرَكَاتِ تَوْظِيفِ الْأَمْوَالِ وَأَنْوَاعِ
أُخْرَى مِنَ الْمَشْرُوعَاتِ الَّتِي تُجْمَعُ فِيهَا الْأَمْوَالُ بِقَصْدِ اسْتِثْمَارِهَا ،
ثُمَّ يُسَافِرُ بِهَا أَحَدُهُمْ إِلَى الْخَارِجِ فَلَا يَعُودُ وَلَا يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ .
وَأِنْ سَوَّءَ الْأَعْمَالُ وَالنِّيَّاتُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُبَاشِرَةِ لَجَلْبِ الْبَلَاءِ
كَالْقَحْطِ وَالظُّلْمِ وَكَسَادِ الْأَسْوَاقِ وَالْهَزِيمَةِ أَمَامِ الْأَعْدَاءِ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ :

« إِذَا أَبْغَضَ الْمُسْلِمُونَ عُلَمَاءَهُمْ ، وَأَظْهَرُوا عِمَارَةَ أَسْوَاقِهِمْ ،
وَتَأَلَّبَوْا عَلَى جَمْعِ الدَّرَاهِمِ ، رَمَاهُمُ اللَّهُ بِأَرْبَعِ خُصَالٍ : بِالْقَحْطِ
مِنَ الزَّمَانِ ، وَالْجُورِ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَالْخِيَانَةِ مِنْ وِلَاةِ الْحُكَّامِ ،
وَالصُّوْلَةِ مِنَ الْعَدُوِّ » ^(٢) .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ :

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

هل اقتربت الساعة

« ما سخط الله عز وجل على أمة إلا غلا سعرها ، وأكسد أسواقها ، وأكثر فسادها ، واشتد جور سلطانها ، فعند ذلك لا يزكي أغنياءها ، ولا يعف سلطانها ، ولا يصلي فقراؤها »^(١) .

وهنا يجب علينا أن نقف وقفة نتدبر فيها معنى هذا الحديث ، فنفهم أن غلاء الأسعار وتضخم العملات وكساد التجارات وظلم الحكام ، وإن كانت له أسباب دنيوية معروفة ، إلا أن السبب الأكبر الذي تتحرك به الأسباب الأخرى إنما هو سخط الله عز وجل . وعلى ذلك يبدأ العلاج بالسعي في رضا الله عز وجل ، ثم الأخذ بالأسباب المعتادة بعد ذلك .

ويظهر ارتباط مثل هذه الأمور التي لا يُعلم إرباطها ببعضها إلا عن طريق علوم الوحي كما في الأحاديث التالية :

« إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله »^(٢) .

(١) أخرجه الحاكم عن علي رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما .

« كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس ، وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن :

ما ظهرت الفاحشة في قوم قط فعمل بها بينهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم تمطروا ،

وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المونة وجور السلطان عليهم ،

ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم فاستنفذوا بعض ما في أيديهم ،

وما عطلوا كتاب الله وسنة رسوله إلا جعل الله بأسهم بينهم » (١) .

« خَمْسٌ بِخَمْسٍ : ما نقض قوم العهد إلا سلَّط عليهم

(١) أخرجه ابن ماجه والبخاري وصححه الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما

هل اقتربت الساعة

عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا حبسوا الزكاة إلا حُبس عنهم القَطْرُ^(١) . (السنين : المجاعات) .

ولقد قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى

قصعتها »

فقال قائل : « من قلة نحن يومئذ ؟ »

فقال : « بل أنتم يومئذ كثيرون ، ولكنكم غثاء كغثاء

السيل . ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن

في قلوبكم الوهن ! »

قيل : « وما الوهن يا رسول الله ؟ »

قال : « حب الدنيا وكراهة الموت »^(٢) .

(١) أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه أبو داود وأحمد والبيهقي عن ثوبان رضي الله عنه .

وروى أحمد والطبراني عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال:
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لثوبان :
« كيف بك يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كتداعيكم
على قصعة الطعام تصيرون منها ؟ »
قال ثوبان : « بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أمن قلة بنا ؟ »
قال : « لا ، أنتم يومئذ كثير ، ولكن يلقي في قلوبكم
الوهن » .

قال : « وما الوهن يا رسول الله ؟ »

قال : « حُكْم الدنيا وكراهيتكم الموت »

لقد تبادر إلى أذهان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ، وهم أسد الله ، أن هذا الذي وصفه لهم رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم لا يمكنه أن يحدث إلا وهم قليل مستضعفون
لقلتهم ، ولكنه بين لهم حدوث ذلك وهم كثير ولكن الأمة
حينئذ تكون غشاء كغشاء السيل ، والغشاء هو الزبد الطافي فوق
السيل ، الحامل للقاذورات والنفايات ، فليس هو الماء الذي منه

هل اقتربت الساعة

الفائدة وبه القوة ، وليس هو حتى الزبد التنظيف الخالي من
النفايات . وما أكثرنا اليوم ، فنحن أكثر من ألف مليون مسلم ،
ولكن ليس فينا من الرجال إلا القليل . ولماذا كانت الغالبية كغشاء
السيل ؟ لأن في قلوبهم الوهن أي حب الدنيا وما يتبعه من
كراهية الموت في سبيل الله .

ولماذا يجر حب الدنيا على الأمة هذه المصائب ؟

لأنه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله وما والاه ،
وعالما أو متعلما » ^(١) .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها ، إلا أمرا بمعروف ، أو نهيا
عن منكر ، أو ذكر الله » ^(٢) .

(١) أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة ، والطبراني عن ابن مسعود رضي الله
عنهما .

(٢) أخرجه البزار عن ابن مسعود رضي الله عنه .

ولكن كيف تكون الدنيا ملعونة وقد أمرنا الله أن نمشي في
مناكبها ونأكل من رزقه، وقال الله تعالى :
﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من
الرزق ﴾ (١).

إن الدنيا تكون ملعونة ان طلبت لذاتها ، ومن أجل
الاستمتاع بشهواتها ، والاستغراق في ملذاتها ، وتتضاعف اللعنة
إن كان المطلوب منها حراما، أو المال الذي ينفق فيها حراما. أما
إذا كانت الدنيا مزرعة الآخرة، وأُخذت من حِلِّها، ووُضعت في
محلها، فإنها لا تكون عندئذ ملعونة .

ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم :
« الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ما ابْتِغِي به وجه الله
عز وجل » (٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

(١) سورة الأعراف آية ٣٢ .
(٢) أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

« الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ما كان منها لله عز وجل » (١) .

فإن الدنيا للمسلم رحلة سفر كلها تعب ونصب ، يرجو في نهايتها لقاء ربه عز وجل في أحسن حال ، ولذلك كانت كما قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » (٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له » (٣) .

فالدنيا دار من لا دار له في الجنة ، فتكون الدنيا كل متعته ولذته . ومال من لا مال له ، والمال هنا المقصود به الأعمال

(١) أخرجه أبو نعيم عن جابر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة ، والحاكم والطبراني عن سلمان ، والبخاري عن ابن عمر ، رضي الله عنهم .

(٣) أخرجه أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها .

الصالحة التي يقابل بها المرء ربه ، فإن من ليس له من صالح الأعمال شيء فكل ماله إنما هو هذا المال الدنيوي . ولها يجمع من لا عقل له ، فإن العقل هو الذي به يميز الإنسان الأشياء فيعرف فضل الآخرة على الدنيا ، والفرق بين الحلال والحرام ، وبين الفضيلة والرذيلة .



(٧) أسباب نزول اللعنات

إن طلب الدنيا والسكر بها يجرّ إلى المحرمات ، والمحرمات تجلب اللعنات. ولقد لعن الله الأمم السابقة حين نقضوا العهد وأفسدوا في الأرض. يقول المولى عز وجل :

﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدون في الأرض ، أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾^(١).

وعهد الله هو ما عاهد المؤمن عليه ربه حين رضي بالله رباً وبشرعه ديناً من القيام بالواجبات والانتفاء عن المحرمات ، فلما لم يلتزموا بذلك وقطعوا ما كان يجب أن يوصل وأفسدوا في الأرض جعلهم الله ملعونين في الدنيا ولهم سوء الدار أي جهنم في الآخرة .

(١) سورة الرعد آية ٢٥ •

ومن الفساد في الأرض التي قد يؤدي إلى صبب اللعنات على
هذه الأمة كما صُبت على من قبلها الموبقات المذكورة في
الأحاديث التالية :

« لعن الله آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه ، ومانع
الصدقة » (١) .

« لعن الله آكل الربا ، وموكله ، وشاهديه ، وكاتبه ،
هم منه سواء » (٢) .

« لعن الله الخمر ، وعاصرها ، وشاربها ، وساقياها ، وبائعها ،
ومبتاعها ، وحاملها ، والأحمولة اليه ، وآكل ثمنها . » (٣) .

« لعنت الخمر على عشرة وجوه : لعنت الخمر بعينها ،
وشاربها ، وساقياها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ،
والأحمولة اليه ، وبائعها ، ومبتاعها ، وآكل ثمنها . » (٤) .

(١) أخرجه أحمد والنسائي رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد ومسلم عن جابر رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني عن ابن عمرو رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم عن ابن عمر ، والطبراني عن ابن

مسعود رضي الله عنهم .

- « لعن الله الراشي والمرثي في الحكم » ^(١) .
- « لعن الله الراشي والمرثي » ^(٢) .
- « لعنة الله على الراشي والمرثي » ^(٣) .
- « لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل » ^(٤) .
- « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء » ^(٥) .
- « لعن الله الرجل من النساء » ^(٦) .

- (١) أخرجه أحمد والترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه .
- (٢) أخرجه أحمد وأبوداود والترمذي والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما .
- (٣) أخرجه أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه عن ابن عمرو رضي الله عنهما .
- (٤) أخرجه أبوداود والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه .
- (٥) أخرجه أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما .
- (٦) أخرجه أبوداود عن عائشة رضي الله عنها .

« لعن الله الخنثيين من الرجال والمترجلات من النساء » (١).

« لعن الله المحلل والمحلل له » (٢).

« لعن عبد الدينار ولعن عبدالدرهم » (٣).

« ملعون من سب أباه ، ملعون من سب أمه ، ملعون من ذبح لغير الله ، ملعون من غَيَّرَ تخوم الأرض ، ملعون من كره أعمى عن الطريق ، ملعون من وقع على بهيمة ، ملعون من عمل بعمل قوم لوط » (٤).

« ملعون من ضار مؤمنا أو مكربه » (٥).

-
- (١) أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما .
 - (٢) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم عن علي ، والنسائي والترمذي عن ابن مسعود ، والترمذي عن جابر رضي الله عنهم .
 - (٣) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه .
 - (٤) أخرجه أحمد عن ابن عباس ، والخطيب عن أبي هريرة ، وعبدالرزاق عن ابن عباس رضي الله عنهم .
 - (٥) أخرجه الترمذي عن أبي بكر رضي الله عنه .

وكذلك لُعنت الكاسيات العاريات صاحبات القبعات
والتسريحات الحديثة .

فإذا صُبَّت اللعنات على الأمة التي كثرت فيها هذه
المهلكات فمن أين تأتيها الرحمة ؟ ومن أين يأتيها النصر ؟ ومن
أين لها البركة في الأرزاق وفي الأولاد وفي كل شيء ؟
يقول الله تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات من السماء والأرض ... ﴾ (١) .

فإن اللعنة هي الطرد من الرحمة ، والإبعاد عن عناية الله
ورعايته ، والوقوع تحت غضب الله وعذابه ، فإذا لُعِن قوم وبقي
فيهم من الصالحين من يدعو لهم لم تكن من الله إجابة ، فإن
الرحمات والبركات التي بها تمطر السماء من خيرها وتُخرج
الأرض من أقواتها إنما هي مشروطة بالتقوى بعد الإيمان ، فإذا
ذهبت التقوى ذهبت معها البركات وبقيت اللعنات .

(٨) علامات هذا الزمان

بقي أن نرى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد جعل لنا علامات نعرف بها بدون شك أن زمننا هذا هو بالفعل آخر الزمان ، وأن العلامات الكبرى على وشك الوقوع . وهنالك بالفعل أحاديث تشير إلى أشياء لم يكن من الممكن تخيلها لمن كان قبلنا ، فإن كثيراً مما مر من الأحاديث إنما تصف تفاقماً لأوضاع بدأت تظهر بعد الخلافة الراشدة مباشرة ، ثم صارت في تزايد حتى أصبحت شائعة وعامة في زمننا هذا ، ولكن هناك أحاديث آخر لا تنطبق إلا على هذا الزمان ولقد أخبر عنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إجمالاً وتفصيلاً أما إجمالاً فبقوله:

« لا تقوم الساعة حتي تروا أموراً عظيماً لم تكونوا ترونها ولا تحدثون بها أنفسكم » .^(١)

(١) أخرجه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير عن سمرة بن جندب رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

« سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء ستكرونها عظاماً ،
تقولون هل كنا حُذثنا بهذا ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى
واعلموا انها أوائل الساعة » .^(١)

وأما تفصيلاً فبمثل الأحاديث الآتية :

« لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، فتكون السنة
كالشهر ، والشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كاليوم ، ويكون
اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كالضربة بالنار » .^(٢)

« لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتزوى
الأرض زياً » .^(٣)

وقد ورد لفظ تقارب الزمان في أحاديث أخرى كثيرة ،

(١) أخرجه البزار والطبراني في الكبير عن سمرة بن جندب رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد والترمذي عن أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

والزمان لا يتقارب إلا بوسائل المواصلات والاتصالات الحديثة التي تجعل السفر وقضاء المصالح يستغرق وقتا قصيرا جدا بالنسبة لما كان يستغرقه من قبل :

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ، ويكثر الكذب ، وتقارب الأسواق ، ويتقارب الزمان » (١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، وحتى يتطاول الناس في البنيان » (٢) .

أما الفتن فما أكثرها ، فتن في الدنيا وفتن في الدين ، وفتن يجدها المرء المسلم يصدم بها في الشوارع والطرق ، ويجابهها

(١) أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني عن العداء بن خالد رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

في المرافق ، وفي وسائل الإعلام ، وفي مجالات السياسة وكذلك الكذب اعتاده رؤساء الدول والوزراء ونواب المجالس النيابية، واعتادته وسائل الإعلام كلها ، والبائعون ، والمزارعون ، وطلبة المدارس والجامعات .

وأما تقارب الزمان فقد ذهبت مراحلها الأولى التي فيها السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كالיום ، وأصبحنا كما هو ملاحظ ومشهود في أيام تمر كالساعة ، وساعات تمر كضربة النار، أي كسعفة الجريد إذا اشتعلت نارا فتوقدت دقائق قليلة ثم انطفأت .

وأما تقارب الأسواق فذلك أيضا مشاهد في كل مكان ، فقد ذهب الزمن الذي كان فيه السوق في مكان معين من البلدة ، وفي يوم معين من الأسبوع ، وأصبحت المدن الآن شوارعها كلها سوق واحدة متصلة بعضها ببعض ، ويسير الإنسان فيها من أول المدينة إلى آخرها بين الدكاكين ولافتات الدعاية وكذلك تقاربت الأسواق عالميا بحيث صار استيراد البضائع وتصديرها والتعرف على

الجديد من المخترعات يستغرق أياما قليلة بل ساعات لسرعة وسائل النقل والاتصال. وتقارب الأسواق يعني كثرتها ، وذلك يعني كسادها .

ومن العلامات أن هذه الأمة التي لم تكن تترك السلام أصبحت الآن وكل إنسان فيها لا يسلم إلا على من يعرفه لتباعد قلوبهم وتنافرها . وهذا شيء لم يزد وينتشر إلا في السنوات الأخيرة ، فقد أدركنا أوقاتا وبلادا كان لابد فيها لكل مسلم أن يسلم على من يعرف ومن لا يعرف إذاواجهوا في الشوارع وغيرها .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
« بين يدي الساعة تسليم الخاصة ، وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة »^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
« لا تقوم الساعة حتى لا يسلم الرجل إلا على من يعرف ،

(١) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

وحتى تتخذ المساجد طرقا ، وحتى تتجر المرأة وزوجها »^(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة ، وحتى

تتخذ المساجد طرقا فلا يسجد لله فيها ، وحتى يبعث الغلام

الشيخ بريدا بين الأفقين ، وحتى يبلغ التاجر بين الأفقين لا يجد

ربحا »^(٢) .

ومن العلامات التي تتحدث عنها هذه الأحاديث أن الرجل

سوف يستعين بزوجه في التجارة أي تقف معه أو بدلا منه في

الدكان ، وهذا شيء كان لا يكاد يصدق في أمة كانت النساء

فيها محفوظات عن الاختلاط ، وعن أعين الغرباء ، فأصبحت الأمة

بتقليدها للنصارى واليهود تبيع الاختلاط ، ووقفت النساء في

الدكاكين تبيع وتشترى وتعمل كعمل الرجال .

وأما السفر بين الأفقين فإنما هو إشارة إلى الطائرات التي

(١) أخرجه الطبراني عن العداء بن خالد رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه .

تنقل الركاب من الأفق إلى الأفق في ساعات قليلة ، فيسافر
التاجر من أفق إلى أفق ويأتي ببضاعة لا تحقق له ربحاً.

ومن العلامات ظهور من يتكلم في أمور لم يكن يتكلم فيها
من قبلنا من أيديولوجيات مستوردة ، وأفكار مستوحاة من الغرب ،
مثل نظرية التطور لداروين ، ونظرية العقل الباطن لفرويد ،
والنظريات الاجتماعية والاقتصادية التي افتتن بها المثقفون من
الأمة وحاولوا تطويع الإسلام لتأييدها ، بينما الإسلام منها بريء .
قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيكون في آخر الزمان ناس من أمتي يحدثونكم بما لم
تسمعوا به أنتم وآباؤكم ، فإياكم وإياهم » ^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« بادروا بالأعمال ستا :

إمارة السفهاء ، وكثرة الشرط ، وبيع الحكم ، واستخفافا
بالدم ، وقطيعة الرحم ، ونشوا يتخذون القرآن مزامير ، يُقدِّمون

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

أحدهم ليُغْنِيَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَقْلَهُمْ فَقَهَا» (١).

ومن العلامات أن الصالحين من الناس يتجنبون مواقع المسؤولية ويتركون غيرهم يتنافسون ويتقاتلون عليها بالأساليب الشريفة والغير شريفة، فلا نجد في أغلب مواقع المسؤولية إلا من هو سيء الخلق، لا يجتنب الحرام، ويشترى دنياه بدينه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« إِذَا وَسَدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » (٢).

ويدل على أن أعمال الأمة ساءت أنهم فعلا يصرفون المبالغ الطائلة على زخرفة مساجدهم، وكأن الزخرفة الظاهرية للمساجد تصلح القلوب وتدخل الجنة، والأمر عكس ذلك تماما، فإنما هو دليل على فساد قلوبهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« مَا سَاءَ عَمَلُ قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا زَخَرُوا مَسَاجِدَهُمْ » (٣).

(١) أخرجه الطبراني عن عباس الغفاري رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما .

ومن العلم الذي بثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأمة ولم يكن ليفهم حتى هذه الأيام ليكون عليها دليلاً وحجة الحديث الآتي :

« إن من أشراط الساعة أن ينتشر المال ويكثر، وتفشر التجارة ، ويظهر العلم ، ويبيع الرجل البيع فيقول : لا حتى أستمّر تاجر بني فلان ، ويُلتمس في الحي الحطيم الكاتب فلا يوجد » (١).

فإن هذه الأشياء فشّت في الأمة فعلاً في العشرين سنة الأخيرة ، المال والتجارة والجهل ، أما العلم الذي ذكر أنه يظهر فقد يُفهم منه أنه العلم الديني المبثوث في وسائل الإعلام والذي يقرأه ويسمعه الناس ولكن دون فهم ولا قبول ولا تطبيق عملي، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن لله تعالى قال : أثبت العلم في آخر الزمان حتى يعلمه

(١) أخرجه النسائي عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

الرجل والمرأة، ووالعبد والحر، والصغير والكبير، فإذا فعلت ذلك بهم أخذتهم بحقي عليهم». (١)

وقد يفهم منه أنه العلم بالدنيا الذي هو أدنى درجات العلم، وهو علم التكنولوجيا ووسائل الماجستير والدكتوراه الذي أُعطي الصدارة هذه الأيام، وقُدِّم على علوم الآخرة. وهذا العلم لا يكون علماً نافعاً إلا إن ظل محكوماً بعلوم الوحي، خاضعاً لها، فلا يطغى ولا يصير فساداً في الأرض، وإلا فإنما هو جهل كما قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن من البيان سحراً، وإن من العلم جهلاً...»
الحديث». (٢)

أما العلم النافع مطلقاً فهو الذي قال عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

- (١) ذكره العلامة الغماري في كتابه: «مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية». وقال أخرجه الدارمي وأبو نعيم في الحلية عن أبي الزاهرية يرفعه.
- (٢) أخرجه أبو داود عن بريدة رضي الله عنه.

« إن من أشراط الساعة أن يُقبض العلم ، ويظهر القلم ،
وتفشو التجارة »^(١).

فظهر القلم يصحبه قبض أو رفع هذا العلم وزيادة الجهل
المصاحب لزيادة العلوم المادية الدنيوية وانشغال الناس عنه بالتجارة،
أى بالدنيا.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ، ويرفع
العلم »^(٢).

ولقد قال الله تعالى فيمن يُقدم علم الدنيا على علم
الآخرة: ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم
غافلون ﴾^(٣).

ولما كان عكس الموازين يستوجب مقت الله ، قال صلى الله

(١) أخرجه الطبراني عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري .

(٣) سورة الروم آية ٧ .

عليه وآله وسلم :

« إن الله تعالى يفيض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة » (١).

وأما عن ظهور القلم فإنه من علامات هذا الزمان إذ أنه لم يكن يحمل الأقلام فيما مضى إلا طلبية العلم وكان عليهم تحضير الحبر في الدواة وتجهيز الأقلام ، أما الآن ، كما هو مشاهد ، فالكل يكتب ، والأقلام في جيوب الناس بأجمعهم . وقد كان يُظن أن يكون القلم أداة للعلم ، فإذا هو أداة للجهل ، ولذلك ذكر في الحديث بعد ذكر قبض العلم . وارتفاع العلم وظهور الجهل يصحبهما أشياء بعضها مذكور في الحديث الآتي :

« إن من علامات البلاء وأشرطة الساعة أن تعزب العقول ، وتنقص الأحلام ، ويكثر القتل ، وترفع علامات الخير ،

(١) أخرجه الحاكم في تاريخه والديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وتظهر الفتن «^(١). أي أن الناس ينقص عندها العقل والقدرة على التفكير، فيسهل الاستخفاف بعقولهم بواسطة بالأفكار الزائفة والحظوظ الفانية.

ومن العلامات الواضحة هجرة أهل المدينة المنورة منها إلى غيرها حينما تدفقت أموال البترول من حقول الخليج، وسعيهم وراء المشاريع التجارية والصناعية وغيرها ، بالرغم من نصيحة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهم بعدم تركها حين قال:

« يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه :
هلم إلى الرخاء ، هلم إلى الرخاء ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه ، ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبث .
لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد »^(٢).

(١) أخرجه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

يظهر من هذا أننا فعلاً أصبحنا منذ فترة في هذا الزمان السييء الذي أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقد اتضحت الرؤية في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي حين أدى التطور الكبير في جميع وسائل الاتصالات إلى تحرك الأحداث السياسية والاجتماعية بسرعة خيالية ، فأصبح الحدث الذي كان يستغرق شهورا فيما مضى يستغرق ساعات ، وينتقل خبره بسرعة البرق من مشارق الأرض إلى مغاربها ، كما زادت الفوضى السياسية على الصعيد الدولي، وزاد القتل الجماعي ، والإرهاب الدولي ، كما أدى التطور التكنولوجي إلى تلوث الأراضي والبحار والأجواء ، وحتى الفضاء الخارجي . قال تعالى:

﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾^(١).

(١) سورة الروم ، آية : ٤١ .

(٩) العلامات الكبرى

الحاصل من ذلك كله أن الأرض ملكت ظلما وجورا ، ولم يبق إلا أن يشتد الأمر قليلا حتى يبعث الله الإمام المهدي فيملؤها عدلا ، فلم يبق إلا العلامات السابقة لظهور الإمام المهدي وهي ظهور الطاغية السفيناني بالشام وما يتبع ذلك من الحروب والمذابح ، ثم ظهور الرايات السود من خراسان .

وقد أخرج ابن ماجه وأبو نعيم وابن أبي شيبه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل فتية من بني هاشم ، فلما رأهم النبي صلى الله عليه وسلم اغرورقت عيناه وتغير لونه فقلت : ما نزال نرى في وجهك شيئا تكرهه ؟ فقال :

« إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا ، حتى يأتي قوم من

هل اقتربت الساعة

قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الحق فلا يعطونه ،
 فيقاتلون فيُنصرون ، فيُعطون ما سألوا فلا يقبلونه ، حتى
 يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي ، فيملأها قسطا كما ملؤها
 جورا ، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج ،
 فإنه المهدي .»

وفي أيام المهدي تحدث الملاحم ، ويخرج الدجال ، وينزل
 سيدنا عيسى عليه السلام فيقتله بباب لُدّ ، أي قريبا من تل أبيب ،
 ثم تأتي جحافل يأجوج ومأجوج ، ثم يسود الأمان الأرض مدة
 من الزمان ، ثم تبدأ الأمور في التدهور ثانية حتى يصير الأمر إلى
 الحضيض ، ويذهب الإيمان ، ولا يبقى إلا شرار الناس ، وهم
 الذين تظهر عليهم سائر العلامات الكبرى من خروج الدابة ،
 وطلوع الشمس من مغربها ، وهم الذين تقوم عليهم الساعة حين
 ينفخ في الصور فيصعق جميع من عليها .

يقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« إقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصا ،

ولا يزدادون من الله إلا بعداً^(١).

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« اقتربت الساعة ولا تزداد منهم إلا قرباً »^(٢).

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم :

« خيار أمتي أولها ، وآخرها نهج أعوج ليسوا مني ولست منهم »^(٣).

هكذا يتبرأ منهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فمأهم

إلا كما قال :

« لا تقوم الساعة إلا على شرار أمتي »^(٤).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« سيأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه ،

ولا من الإسلام إلا اسمه يتسمون به وهم أبعد الناس منه ،

(١) أخرجه الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن السعدي رضي الله عنه .

(٤) أخرجه مسلم وأحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى ، فقهاء ذلك الزمان
شرفقهاء تحت ظل السماء ، منهم خرجت الفتنة واليهـم
تعود ،^(١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :
« سيأتي على الناس زمان يصلي في المسجد منهم ألف
رجل وزيادة لا يكون فيهم مؤمن »^(٢) .



(١) أخرجه الحاكم في تاريخه عن ابن عمر والديلمي عن معاذ رضي
الله عنهم .

(٢) أخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(١٠) التحصن من الفتن

ولكن قبل هذا ، قبل انحطاط الأمة إلى هذا الحد أحداث وأحداث ، فإن جاءت الفتن الخفيفة المظلمة التي من أهلكته أدخلته جهنم خالدا فيها فكيف يكون الأمر ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« ستكون أحداث وفتنة وفرقة واختلاف ، فإن استطعت أن تكون المقتول لا القاتل فافعل »^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها

خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي »

قيل : « أفرايت يارسول الله ، إن دخل علي بيتي وسط إلى

يده ليقتلني ؟ »

(١) أخرجه الحاكم عن خالد بن عرقطة رضي الله عنه .

قال : « كن كابن آدم . »^(١)

والحاصل من هذا الحديث أن الأمور ستكون مضطربة ،
لا يعرف الحق فيها من الباطل ، وكل من أراد أن يفعل شيئاً لدفع
هذه الفتن لا يزيد لها إلا اضطراباً ، ولذلك كان الساكن فيها خيراً
من المتحرك ، والمقتول فيها ، أي الذي هو كهائيل ابن آدم ، خيراً
من القاتل .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« ستكون فتنة صماء بكماء عمياء ، من أشرف لها
استشرفت له ، وإشراف اللسان فيها كوقوع السيف »^(٢) .

فما العصمة من هذه الفتن ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ،
إلا من أحياء الله بالعلم »^(٣) .

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن سعد رضي الله عنه

(٢) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه ابن ماجه والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه .

هذه الفتنة أو الفتن التي يكون اللسان فيها هو سلاح الإهلاك هي التي يصبح الرجل فيها مؤمنا فيقنعه آخر بلسانه بالكفر أو الشرك أو بيع دينه بدنياه ، ولا بد للسان لكي يحقق هذه الأشياء من وسائل الاعلام الحديثة لكي ينتقل الحديث الفتان من مشارق الأرض إلى مغاربها في لحظات ، وهذا ظاهر جلي في أيامنا هذه ويزداد ظهورا حتى إذا وقعت فتنة الدجال تصل هذه الأمور إلى ذروتها. والعصمة من هذه المخاطر كما يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إنما هي بالعلم !

العلم الذي يميز به الإنسان الحق من الباطل ، ويعرف به الدجال من المهدي أو من نبي الله عيسى عليهما السلام ، ويعرف فضل الآخرة على الدنيا فلا يفتتن بها ، ويعرف الحلال من الحرام ، ويعرف كذب النظريات الغربية في علم التطور ، وعلم النفس ، وسائر العلوم التي قلبوا فيها الموازين فجعلوا الحق باطلا والباطل حقا ، تمهيدا لوصول سيدهم الدجال . هذا العلم الذي جاء به سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم إجمالا وتفصيلا ، وأعرض عنه المسلمون هذه الأيام فأصبحوا جهلاء يتلاعب

هل اقتربت الساعة

بعقولهم الروبيضة .

وهذا العلم ليس هو العلم الذي يبثه الروبيضة في الصحف
والجلات والإذاعة والتلفزيون ولكنه علم الكتاب والسنة .
قال صلى الله عليه وآله وسلم :
« إنها ستكون فتنة »

قيل « فما المخرج منها ؟ »

قال : « كتاب الله فيه نبا من قبلكم ، وخبر من بعدكم ،
وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار
قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل
الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم . هو
الذي لا تزيف به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا تلبس به
الألسن ، ولا يخلق عن الرد ، ولا تنقضي عجائبه . هو الذي لم
تنته الجن إذ سمعته عن أن قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي
إلى الرشاد . من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن
عمل به أجر ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم » ^(١) .

(١) أخرجه الترمذي والبيهقي عن علي بن محمد بن نصر ، والطبراني
عن معاذ رضي الله عنهم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إني تارك فيكم خليفتين ، كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض »^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما »^(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ، كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض »^(٣).

(١) أخرجه أحمد والطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

إن العلم إذن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والفهم لهذا العلم والقدرة على تأويله وبياناه للناس بما يناسب العصور إنما هو من أسرار أهل البيت النبوي المطهر ، فإن السنة مفسرة للقرآن ، وأهل البيت مستودع لهذا العلم ، ولذلك فإنهم مع القرآن عبر الأزمنة حتى يردا على حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة .

فمن تمسك بما بينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجنب الوقوع في الفتن والإصغاء إلى دعاة الضلال الذين يتكلمون بالقرآن والسنة ويتأولونهما بما يوافق أهوائهم ليضلوا الناس ، ويأتون بالأدلة في غير محلها ، ويلبسون الأمور على العامة .
قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان » (١) .

(١) أخرجه ابن عدي عن عمر رضي الله عنه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون »^(١).

ومما ابتليت به هذه الأمة في آخر الزمان هؤلاء الذين يرمون الناس بالشرك يمينا وشمالا ، حتى صارت هذه الكلمة الشنيعة على ألسنتهم أسهل من إلقاء السلام ، وذلك مع قول رسول الله عليه وآله وسلم فيهم وفي أمثالهم :

« هلك المتنطعون »^(٢).

والمتنطعون هم المتشددون في الدين بغير علم ولا أدب وقد أمرهم صلى الله عليه وآله وسلم بغير ذلك حين قال :

« إياكم والغلو في الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين »^(٣).

(١) أخرجه أحمد وأبو نعيم عن عمر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما .

هل اقتربت الساعة

كما حذرهم صلى الله عليه وآله وسلم أنه :
 « إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما » ^(١) .
 ومع تأكيد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يخاف على أمته
 الشرك ، لكن يخاف تكالبهم على الدنيا ، وتنافسهم عليها ،
 وتقاتلهم علي حطامها ، حتى توقعهم في المهالك والمحرمات .
 قال صلى الله عليه وآله وسلم :
 « إني فرطكم على الحوض وإن عرضه كما بين أيلة إلى
 الجحفة . إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن
 أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتلوا فتهلكوا كما
 هلك من قبلكم » ^(٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :
 « إني بين أيديكم فرط لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وإن

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه .

وأيلة هي القدس ، أما الجحفة فقريّة على ساحل البحر الأحمر
 بالقرب من رابغ .

موعدكم الخوض ، واني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، واني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، واني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها^(١) .

هكذا أكد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أن الشرك بالله ليس مما يخافه على أمته ولكنه يخاف عليهم من فتن الدنيا والهوى ، وكذلك أكد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يخاف أن تعبد امته الشيطان ولكنه يخاف من غوايته لهم فيما دون الكفر والشرك فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« يا أيها الناس ، أيُّ يوم أحرمٌ ، أيُّ يوم أحرم ، أيُّ يوم أحرم ؟ »

قالوا : « يوم الحج الأكبر » .

قال : « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا . ألا ولا يجن جان على نفسه ، ألا ولا يجن والد على ولده .

(١) متفق عليه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه .

ألا إن الشيطان قد أيس أن يُعبد في بلدكم هذا أبداً ،
ولكن ستكون له طاعة في بعض ما تستحقرون من أعمالكم
فيرضى بها ، ... الحديث ،^(١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة
العرب ، ولكن في التحريش بينهم »^(٢) .

وقد حَرَّشَ الشيطان بينهم أي تحريش ، وقامت بينهم
حروب ومعارك استحلت فيها الدماء والأموال والأعراض ، ولا تزال
الأمر بينهم في توتر دائم ، وعبدوا الجاه والدرهم والدينار ونسوا
الله ، وأصبح الرجل الصالح فيهم غريباً مستوحشاً لا حول له ولا
قوة .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« إنها ستكون فتن لا يستطيع المؤمن أن يُغَيِّرَ فيها بيد

(١) أخرجه الترمذي عن عمر بن سلمة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه .

ولا بلسان .

قيل : « يا رسول الله هل ينقص ذلك من إيمانهم ؟ » .

قال : « لا ، إلا كما ينقص القطر من السقاء »

قيل : « ولم ذاك ؟ »

قال : « يكرهونه بقلوبهم »^(١) .

وإن مما يورده مُحَبِّي تكفير المسلمين تلك الأحاديث التي تنبئ بارتداد البشر عن الإيمان إلى الشرك ، وليس هذا الاستدلال في محله فإن هذه الأحداث إنما هي بعد ظهور المهدي والدجال وسيدنا عيسى وأجوج ومأجوج ، وقبل قيام الساعة بفترة وجيزة ، حيث لا يبقى على وجه الأرض أحد يقول : لا إله إلا الله ، وليس ذلك الآن حيث يوجد على الأرض مئات الملايين من الموحدين . نعم إنهم بعدوا عن الدين وفسق منهم الكثير ولكن بين ذلك وبين رميهم بالشرك بون بعيد ، وبعد الناس عن الدين إنما سببه حبهم للدنيا كما أخبر صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنك لترى

(١) أخرجه الطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

هل اقتربت الساعة

أكثرهم تكالبا على الدنيا و على العمائر الفارمة والسيارات
 الفاخرة ما هم إلا أولئك الذين يرمونهم بالشرك ظلما وبهتاناً ،
 ويقلبون لهم موازين الأمور ؛ وما هذا إلا نوعا من الدجل يسبق
 ظهور الدجال الأكبر .



(١١) الخاتمة

لما خلق الله سيدنا آدم عليه السلام جعله نبيا ، وعلمه
الأسماء كلها ، وجعله في الجنة التي لايجوع فيها ولا يظمأ ،
ولا يتعب فيها ولا يعرى ، ثم أنزله إلى الأرض ، فكان ذلك بداية
النزول الذي كتب عليه وعلى ذريته أن يستمروا فيه ، حتى إذا
قامت الساعة قامت على شرار الناس ، أي على كافر ابن كافر،
وليس على الأرض يومئذ من يقول : « الله ! »

ونُحلق سيدنا آدم عليه السلام على الفطرة ، وكلما بعد
الإنسان عن الفطرة بعد عن الميزان الذي وضعه الحق سبحانه
وتعالى للأشياء ، وهو النظام والانسجام والصفاء ، وزادت فيه وفيما
حوله أضرارها وهي النشاز والتشويش .

قال تعالى :

﴿ والسابقون السابقون ، أولئك المقربون ، في جنات النعيم ، ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين ﴾^(١).

فالمقربون الذين هم على الفطرة كانوا هم الأكثرية في أول الزمان ، وكان الاستثناء أمثال قابيل قاتل أخيه . ولم يزل الجنس البشري في هبوط منذ أهبط أبوهم آدم حتى كان زمن سيدنا نوح عليه السلام فظهر لأول مرة على وجه الأرض الكفر ، فإن في الأثر أن أول نبي بعث إلى قوم كفروا كان نوحا عليه السلام ، أما من قبله من الأنبياء والرسل عليهم السلام فكانوا يرسلون إلى أقوام انحرفوا عن الصراط المستقيم ، ولكنها كانت انحرافات لم تبلغ مبلغ الكفر ، ولم يزل الشر يزداد والخير يقل منذ ذلك الزمن فيأتي الرسول أو النبي فيتوقف التدهور ويظهر نور الإيمان وينتشر الخير ، ثم لا يلبث بعد وفاة ذلك النبي أن يبدأ التدهور ثانية حتى ينتهي الأمر ، بعد ظهور البدع والانحرافات ، إلى انتهاء هذا

(١) سورة الواقعة آية ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤

الدين، حتى لا يبقى له ذكر، أو إلى نسخه بشريعة جديدة يأتي بها رسول جديد .

لذلك فإن كل أمة من الأمم، ما عدا الأمم التي دعا عليها أنبياءها بالدمار كأمثال عاد وثمود، تبدأ بوجود نبيها، فيكون فيها كثرة من السابقين المقربين وقلة من ضعاف الإيمان والمنافقين، ثم يمر عليها الزمان فيقل المقربون وتزداد الحثالة التي هي كحثة التمر أو الشعير. وهكذا تكون بداية ونهاية كل أمة إنما هي صورة مصغرة لبداية الجنس البشري بأكمله. وكذلك في داخل كل أمة يبعث الله لهم كل حين من يجدد لهم دينهم، فتقل سرعة التدهور برهة بسبب هؤلاء المجددين، ثم لا تلبث أن تزداد ثانية حتى خروج المجدد التالي؛ فهذه الأمور تعيد بصورة أصغر ما يحدث للبشرية ككل، ولكل دين على حدة.

والسابقون المقربون هم الذين تكون أرواحهم قوية، وتكون نفوسهم وأجسادهم خاضعة لها، فهم في نظام وانسجام داخلي، ليس فيهم شيء يكدر صفوهم ويشوش عليهم. وكذلك تكون

هل اقتربت الساعة

دنياهم كلها بركة ، فالأرض تخرج زرعها رغدا وبمجهود قليل ، والأمراض قليلة ، والأعمار طويلة ، وليس بين البشر وبعضهم إلا الود والتآلف والتراحم ، فالبيئة مستقر فيها النظام ، والأوضاع الاجتماعية منتشرة فيها الوثام ، على ما يُرضي الله من صلة أرحام ، وحسن جوار ، وعطف القوي على الضعيف ، والمكثر على المقل .

ثم مع تدهور الزمان تزداد الفوضى ويقل النظام ، ويختل ميزان الأمور الظاهرة والباطنة ، ولا يزال الخلل في ازدياد حتى يصل إلى ذروته عند قيام الساعة ، فيختل نظام الكواكب فتخرج عن مداراتها ، ويختل نظام الأرض فتفور البحار وتزول الجبال وتعم الفوضى كل شيء ، حتى إذا وصلت الفوضى إلى ذروتها أعادت يد القدرة النظام ، فتبدل الأرض غير الأرض ، وحينئذ يحدث البعث والنشور ، وتبدأ أحداث يوم القيامة وتستمر حتى تبلغ غايتها فيظهر نظام آخر يُفرّق فيه بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، فيوضع الخير كله في الجنة ، ويوضع الشر كله في النار ، بعد أن كانا في الدنيا متداخلين .

وقد بدأت هذه الأمة بالخير كله ، والنور ، والاستقامة ،
ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم :
« خير الناس قرني ... الحديث »

ولقد كانت بذور التدهور موجودة منذ ذلك الحين ، في
شخص المنافقين والمرتدين ، وما هذا إلا الهجوم المضاد لقوى الشر
السفلية لإعاقة انتشار النور ، وما هي إلا امتداد للحرب التي شنها
إبليس على أبينا آدم ، وكان من أطوارها اشتراك الشيطان على
هيئة شيخ كبير في مؤتمر قریش الذي عقد لتدبير كيفية القضاء
على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته ، ومن أطوارها ظهور
الدجاجة والمبتدعة وأهل الأهواء وعُباد الدينار والدرهم . فيأذن
الأمر في تباعد عن النظام وفي ازدياد من الفوضى ، حتى إذا
ملكت ظلما وجورا بعث الله أولى العلامات الكبرى وهي المهدي
عليه السلام .

فكيف يكون هذا حال الأمة من التدني والفساد والله تعالى
يقول في القرآن : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴿^(١)﴾ . والمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل » ، ﴿^(٢)﴾ .

إن هذه الخيرية إنما هي بسبب انتماء هذه الأمة لخير البشر صلى الله عليه وسلم ، ولذلك كان خير القرون القرن الذي هو فيه صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ : « هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة » . ولفظ أمة قد يدل على جماعة معينة من الناس ، قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ ﴿^(٣)﴾ ، وقال بعض المفسرين : هم خاصة الصحابة . هذا في القرن الأول ، أما فيما بعد ذلك فالمفهوم أنهم

(١) سورة آل عمران ، آية : ١١٠ .

(٢) أخرجه أحمد والترمذي من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه رضي الله عنه .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٠٤ .

أولئك الذين تصدوا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبث العلوم الشرعية في الأمة، فأولئك هم خير أمة أخرجت للناس. وهم الذين تظل خيرية هذه الأمة منوطة بهم وهم الذين قال عنهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، حتى تقوم الساعة » (١).

وروى ابن كثير في تفسيره أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية ﴿ كنتم خير أمة ﴾ في خطبة له في الحج ثم قال : « من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها ». يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأما أهل الكتاب فاستحقوا اللعنة على لسان أنبيائهم لتركهم هذه الشعيرة. قال الله تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ (٢).

(١) أخرجه الحاكم والدارمي والبخاري في تاريخه عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) سورة المائدة ، آية : ٧٨.

هل اقتربت الساعة

إن هذه الأمة خير الأمم لأن قائدها خير خلق الله أجمعين، صلى الله عليه وآله وسلم، ولأن جيل الصحابة لا يذانيه جيل ظهر على وجه الأرض، إذ أنهم خير القرون، ولأن دأب خيار الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأن هذه الشعيرة باقية في فئة منهم، مهما قلت، إلى يوم القيامة.

وهذا لا يمنع من أن يظهر في آخرين من الأمة الفساد والفوضى.

يقول ابن كثير في تفسيره : « لما نزلت ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ ^(١) ، وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ما يكيك ؟ » قال : « أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أكملت فإنه لم يكمل شيء إلا نقص ». فقال : « صدقت ! »

(١) سورة المائدة ، آية : ٣ .

هكذا فهم سيدنا عمر رضي الله عنه أنه بعد الوصول إلى
القمة فما ثم إلا الهبوط.

وإذا عدنا الآن إلى الحديث الذي يصف الدنيا في آخر الزمان
بأنها ملئت ظلما وجورا لوجدنا أن معناه عموم الفوضى في
جميع نواحي الحياة .

فمن مظاهر الفوضى السياسية : أن الكتاب والسلطان
سيفترقان ، فيحكم الحكام بغير الشريعة المحمدية ، ويكون لهم
بطانة سوء تزين لهم الظلم والطغيان ، والاستيلاء على أموال
الناس ، والكذب عليهم بالتصريحات المُنمقة.

ويتقاتل أمثال هؤلاء على الحكم فتكثر الانقلابات
والصراعات الداخلية ، ويحبون السلطة للسلطة والدنيا والشهوات ،
فيصيبهم الجبن والخوف وكراهة الموت والرغبة في الاحتفاظ
بالسلطة بأي ثمن ، فيعطلون السيف عن الجهاد ، ويكون بأسهم
بينهم ، وينهزمون أمام الكفار في كل موقعة

ومن مظاهر الفوضى الدينية : أن العلم الديني يقبض فيقل

العلماء العاملون ، ويكثر من يتعلم العلم للدنيا ولمداينة الحكام ، وإذا ذُكر العلم لم يُقصد به إلا العلم الديني ، والعلم الديني يخدم الجسم بينما العلم الديني يخدم الروح ، فالعلم الديني دائما مقدم ، ولكنه في آخر الزمان يُهمل ، ولا يُحترم من يحمله من العلماء ، ولا يُسمع لهم ، ويفتي كل ذي جهل في الدين ، أي يتكلم الرويضة ، الذين هم الجهلاء الذين يسمحون لأنفسهم بالفتوى في كل أمر جسيم ، فيملأون وسائل الإعلام جهلا وتضليلا ، فحينئذ :

« يَكْذِبُ الصَّادِقُ وَيُصَدِّقُ الْكَاذِبُ » ويفشو « إعجاب كل ذي رأي برأيه » ، ويظهر أناس « همهم بطونهم ، ودينهم دراهمهم ودنانيرهم ، وقبلتهم نساؤهم ، يأكلون أنواع الطعام ، ويشربون ألوان الشراب ، ويلبسون أنواع الثياب ، ويتشددون في الكلام » ، « ويفشو القلم » ، أي ينتشر انتشارا كبيرا ، وهو وإن كان وسيلة علم إلا أنه يصحبه زيادة في الجهل . ويزخرف الناس مساجدهم وقلوبهم خربة ، أي يهتمون بالظاهر ويهملون

الباطن ، أي يعكسون ترتيب الأولويات ، ولا يزال هذا الأمر في زيادة حتى يصلي الكثير وليس في قلب أحدهم شيء من الإيمان. ومن مظاهر الفوضى الاجتماعية : أن لا يوقر الصغير الكبير ولا يرحم الكبير الصغير ، وتتقطع الأرحام ويفشو سوء الجوار في البيوت وفي الشوارع وفي أماكن العمل ، ويصبح الولد غيظاً أي يكون عاقاً يفضل أصدقاءه على والديه ويجوب الشوارع باحثاً عن الموبقات، ويستخدم المخدرات، وأصبح الناس لا يسلمون إلا على من يعرفون، ولا يُحترمون إلا صاحب المال والجاه لا صاحب العلم والتقوى. ومن مظاهر الفوضى أيضاً ظهور المغنيات، والحفلات الموسيقية^(١)، وكثرة الطلاق.

(١) هناك نوعان من الغناء ، نوع محرم هو ما تقوم به المغنيات المتبرجات اللاتي يثرن الشهوات وأقل ما يمكن ان يقال في هذه الأغاني انها عين التفاهة وإضاعة الوقت وقد تكون اسوأ من ذلك بكثير . النوع الآخر الإنشاد الديني وهو الحداء الذي كان يقوم به صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم سيدنا البراء بن مالك وأنجشة الحبشي رضي الله عنهما ، وهو ما يرفع الانسان إلى مراقبي الروح ولا ينزل به إلى هوة النفس الحيوانية .

هل اقتربت الساعة

ومن مظاهر الفوضى الأخلاقية : أن يكثر الزنا ، وشرب الخمر، والربا ، والرشوة ، وتتخذ الأمانة مغنما ، وقد بينا كيف أن هذا ينطبق تماماً على شركات توظيف الأموال . وينتشر تطفيف الكيل والميزان ، والكذب، وعدم الالتزام بالعهود أي العقود المبرمة كمعاملات تجارية وصناعية وخلافهما ، وشهادة الزور، وتشبه الرجال بالنساء ، فيلبسون الملابس الضيقة الملونة، ويذهبون إلى الكوافير؛ وتشبه النساء بالرجال فيلبسون البطلونات ، ويقصون شعورهن كالرجال ، « ويركبن علي سروج كأشباه الرجال » أي يقدن السيارات ؛ ويلبسن الملابس الشفافة الضيقة، « كاسيات عاريات » ؛ ويختلطن بالرجال في التجارة وفي الأعمال والأسواق.

ومن مظاهر الفوضى الفكرية : انتشار الأفكار المستوردة والأيديولوجيات الغربية التي ما كان لها أن تنتشر في بلاد المسلمين إلا بسبب بعدهم عن الدين وعلماء الدين والانبهار بالغرب وحضارته المادية الشهوانية البراقة ، فأصبح الناس « ألسنتهم

السنة العرب وقلوبهم قلوب الأعاجم ، ، فلا يحترمون إلا الخواجة ، ولا يصدقون إلا الكفرة ، ولا يشقون إلا بهم ، ولا يستشيرون غيرهم . ونعود هنا إلى إعجاب كل ذي رأي برأيه ، وانتشار إفتاءات الرويضة في جميع أمور الأمة .

ومن مظاهر الفوضى الجسمانية : أن تظهر الأوجاع التي لم تكن معروفة من قبل ، ويظهر موت الفجاءة ؛ ولقد أعلن أطباء الغرب سنة ١٩٩٢م أن هناك زيادة لم تكن موجودة قبل ذلك في موت الفجاءة ، بدون سبب يظهر في التشريح بعد الوفاة ، وبدون مرض ظاهر. وكذلك تزداد السمنة وينشغل كل الناس بالرجيم .

ومن مظاهر الفوضى المادية : أن تزوى الأرض بوسائل المواصلات الحديثة ، ويتقارب الزمان ، وتتقارب الأسواق ، ويتطاول الحفاة العراة في البنيان .

ومن مظاهر الفوضى البيئية : أن تزداد الزلازل ، والكوارث الطبيعية ، والرياح العاصفة ، والفيضانات ، ويمنع المطر ، فإن نزل

هل اقتربت الساعة

لم تخرج الأرض شيئا ، وذلك أيضا بسبب انعدام البركات
وازدیاد اللعنات .

وأما عن تلوث البيئة الذي خرب به الجنس البشري النظام
الإلهي في خلقه ، فما هو إلا مظهر من مظاهر الفوضى الشاملة
حين امتدت إلى البيئة ، وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ظهر
الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾ ^(١) والفساد ما
هو إلا الفوضى ، فإن إفساد الشيء هو الإخلال بنظامه حتى
يصبح غير صالح لما خلق له ، وقد فسدت البيئة برا وبحرا وجوا
وسرت فيها السموم حتى في القطبين الجنوبي والشمالي وانتشرت
فيها الإشعاعات الذرية حتى أن أحدا من البشر اليوم لا يخلو نخاعه
العظمي من ترسيب المواد المشعة .

(١) سورة الروم آية ٤١ .

هل اقتربت الساعة ؟

رأينا مما سبق أن العلامات الصغرى قد ظهرت كلها وذلك بما لا يدع مجالا للشك. وإذا كان هذا هو الحال فإن ذلك يؤذن بقرب وقوع أولى العلامات الكبرى وهي ظهور الإمام المهدي رضي الله عنه، وبعده الدجال، ثم نزول سيدنا عيسى عليه السلام، وقتله الدجال، ثم يأجوج ومأجوج، ثم يستمر الزمان في التدهور حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول : « الله ! » وعندئذ تقوم القيامة .

وظهور المهدي يتلو فتنا ومعارك ومذابح تحدث في المنطقة الشاملة للعراق والشام الكبرى، وتستمر ست سنوات، فإذا انقضت السنوات الست من بداية تلك الفتن ظهر المهدي وبيع بمكة. وهذه الأحداث من السهل وقوعها جدا هذه الأيام، وفي هذه المنطقة التي عُدِم فيها الاستقرار، وعمت الفوضى السياسية

هل اقتربت الساعة

والحروب المحلية ومشكلة قيام دولة إسرائيل ، فإن قلنا إن هذه الأمور قد تكون قرية الوقوع جدا فلن نكون إن شاء الله بعيدين عن الصواب ، لأن الأحداث التاريخية في هذا الزمن تتحرك بسرعة كبيرة جدا ، ولم يعد قيام وانهيار الدول والإمبراطوريات يستغرق المئات من السنين كما في الماضي القريب ، أو الألاف من السنين كما في الماضي البعيد ، ولكن عشرات السنين ، وفي القريب العاجل تستغرق مثل هذه الأمور الجسيمة سنوات قليلة أو شهوراً .

أما ما بعد سيدنا عيسى عليه السلام من الأحداث ومنها خروج الدابة ، والخسوف الثلاثة ، وخراب الكعبة ، ورفع القرآن ، إلى آخر ما يحدث قبل القيامة ، فإن زمن ذلك لا يمكن استنتاجه من الأحاديث الواردة ولذلك نكل علمه إلى الله عزوجل .

والحمد لله أولاً وأخيراً ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي



الأمي وآله وصحبه وسلم



الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
١٥	١ - إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بما تمر به الأمة من أحداث إلى يوم القيامة
٢١	٢ - تدهور الزمان
٢٧	٣ - الدين يضعف شيئاً فشيئاً
٣١	٤ - أسباب التدهور
٣٢	أ - فساد الأمراء ومن حولهم
٤٨	ب - فساد العلماء
٥١	ج - تقليد الأم الكافرة
٥٦	د - فساد العامة
٦١	٥ - مظاهر الفساد
٧٩	٦ - نتائج الفساد
٩١	٧ - أسباب نزول اللعنات
٩٧	٨ - علامات هذا الزمان
١١١	٩ - العلامات الكبرى
١١٥	١٠ - التحصن من إلفتن
١٢٧	١١ - الخاتمة
١٤١	هل اقتربت الساعة
١٤٣	الفهرس

هذا الكتاب :

إن للساعة علامات كبرى تؤذن بأنها أوشكت على القيام، تسبقها علامات صغرى تؤذن بقربها، وإن أول العلامات الكبرى ظهور الإمام المهدي عليه السلام، يليه الدجال، ثم نزول سيدنا عيسى عليه السلام. ولكن ذلك لا يكون إلا بعد ظهور العلامات الصغرى كلها. والعلامات الصغرى كثيرة جداً، ووردت بها عشرات الأحاديث النبوية الشريفة تصفها وصفاً تفصيلياً دقيقاً.

❖ فما هي هذه العلامات الصغرى ؟

❖ وما هي العلامات التي ظهرت في العصور جلياً لا مرأى فيه ؟

❖ وما هي العلامات التي ظهرت في العصور الحديثة ولم يكن

بإمكان من قبلنا تصورها ولو في الخيال ؟

❖ وأين نحن الآن من ظهور العلامات الكبرى ؟

❖ وما فائدة معرفة ذلك للمسلم المعاصر ؟

❖ هذه هي الأسئلة التي يتعرض هذا الكتاب للإجابة عليها مسبقاً

بالأحاديث النبوية الشريفة التي لا غنى لمسلمي هذا الزمان عن معرفتها.

المؤلف :

الدكتور / مصطفى حسن البدوي. ولد بالقاهرة عام ١٩٤٨ م ونشأ بها. تخرج من كلية الطب جامعة القاهرة. سافر إلى بريطانيا وعمل بها حتى حصل على زمالة الكلية الملكية للأطباء النفسيين بلندن. يعمل استشارياً للطب النفسي.

من مؤلفاته :

كتاب « الإمام الحداد : مجدد القرن الثاني عشر » عام ١٤١٤ هـ.

كتاب « علم النفس الإسلامي » باللغة الإنجليزية، تحت الطبع.

قام بترجمة عدة كتب دينية إلى اللغة الإنجليزية ونشرت بلندن.